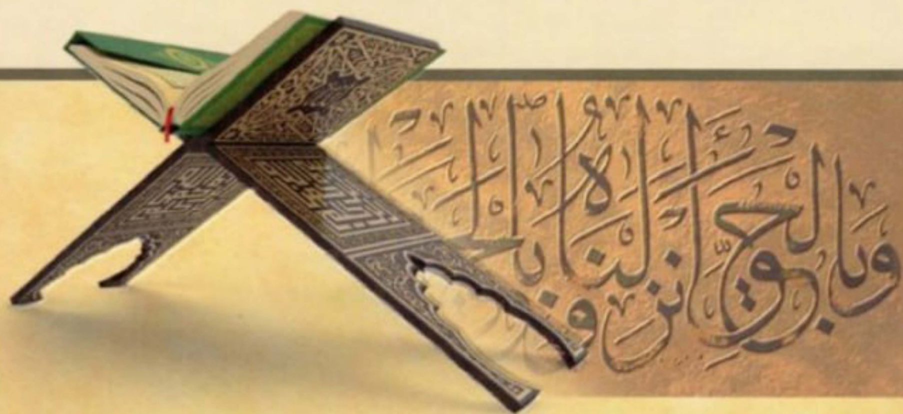
أعلام القرآن



إعداد

فايز بن سياف السريح

أعلام القرآن

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العتيبي، فايز بن سياف بن فايز السريح
أعلام القرآن (فايز بن سياف بن فايز السريح العتيبي)
ط ١، الرياض ١٤٤١ هـ
٣٠٤ص؛ ١٤x٢٠سم
ردمك: ٥-٦٧-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ القرآن ـ مباحث عامة أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٩ ٦٢١٥ / ١٤٤١

رقم الإيداع: ١٤٤١/٦٢١٥
ردمك: ٥-٦٧-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م



دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ـ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

أعلام القرآن

إعداد

فايز بن سيَّاف السّريح

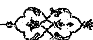
دار الحضارة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعل العلم به أشرف معلوم، وأنزلَ كتابه عَلَمًا عليه، ودليلًا إليه، ففاق سَـبْكُه كلَّ نثر، وبَزَّ كلَّ منظوم، وأزكى صلاة وأعطر سلام على البدر البادي، والنبيِّ الهادي؛ أشرف الأعلام، وأطهر الأنام، وعلى مَن تبعه بإحسان، وسلَّم تسليمًا يدوم.

وبعد: فإن كتـابَ الله ينبـوع العلوم، ومِرقـاة المدارك والفهوم؛ كنا في لُجَّـة ظلام الضلالة فاسْـتَنَرْنا به، وكنا في دَرَكات الجهـل والهـوى فارتقينا به، هو مائـدة الله لعباده، والحبل الواصل بينهم وبينه، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨]، قد أودعه الله من كل علمٍ علمًا، وجعله الله نورًا لمن رزقه بصيرة وفهمًا، بل كـان تِبْيـانًا لكل شيءٍ كمـا وصفـه الله ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو المعراجُ إلى السـماء، والنافذة إلى الضياء، قد حوى مـن صادق الأخبار ما فيه مُعْتبَر، وذَكَر مِن حُسْن الوعظِ ما فيه مُدَّكَر.



ولما كانت مباحث القرآن شـتى، وعلومه متنوعة، بذل العلماء مُهَجَهم، وأَفْنَوْا حياتهم، ونفائس أعمارهم؛ طلبًا في إدراك نفائس القرآن، فلكل عالمٍ ومُتَعَلِّم حظٌّ مِن تَدَبُّر القرآن العظيم وفهمه ليس لأحـد أن يزاحمه فيـه، وكان من تلك العلوم الحقيقة بالـدرس والتأليف، والجمعِ والتصنيف علمُ (أعلام القرآن)؛ حيثُ ذكـر القرآن أُممًا وأفـرادًا، وطوائف وفِرقًا، ونساءً ورجالًا، وأمكنةً وأزمنةً، وقد أحببت أن أجمع في هذا السِّـفْر اللطيفِ بعضًـا مما وقفتُ عليـه من أعلام القرآن؛ سواءً نصَّ القرآن على اسـمه فكان علمًا باسمه، أو أشار إليه إشارةً؛ مسـتفيدًا في هذا الجمع من مصادر شتى، وموارد متنوعة مـن كتب التفسـير، والتاريـخ، والأعلام، والمعاجم، والتراجم، ونحوها.

وقد قسمت الكتاب على النحو الآتي:

- أعلام الأنبياء والرسل.
- أعلام الكتب.
- أعلام الصالحين.
- أعلام المجرمين.
- أعلام النساء.

أعلام الأماكن.

أعلام الأزمنة.

أعلام الأقوام والطوائف.

أعلام متفرقة.

وإني لأرجو من الله تعالى أن يجعل هذا العمل لي رفعةً عنده، وأن يتقبَّله بقبول حسن، وأن يبارك فيه، وفيمن قرأه وأفاد منه.

وصلى الله وسلم وبارَك على نبينا محمد.

أعلام الأنبياء والرسل



آدم عليه السلام



هو آدمُ أبو البشر عليه السلام، خلقه الله بيده؛ تشريفًا له على جميع المخلوقات، وقبض قبضة من جميع الأرض؛ سَهْلها وحَزْنها[1]، وطيِّبها وخبيثها، ليكون النسل على هذه الطبائع، فكان ترابًا أولًا، ثم ألقى عليه الماء فصار طينًا، ثم لما طالت مدة بقاء الماء على الطين تغيَّر ذلك الطين، فصار حمأً مسنونًا، طينًا أسود، ثم أَيْبَسَهُ بعدما صوَّره، فصار كالفخار الذي له صلصلة ـ وهو في هذه الأطوار جسد بلا روح ـ فلما تكامَل خَلْقُ جسده نفخ فيه الروح، فانقلب ذلك الجسد الذي كان جمادًا إنسانًا له عظام ولحم وأعصاب وعروق وروح هي حقيقة الإنسان.

وقد أعدَّه الله لكل علم وخير، ثم أتم عليه النعمة، فعلَّمه أسماء الأشياء كلها، فأراد الله أن يُرِي الملائكة كمال هذا المخلوق، فعرض هذه المسمَّيات عليهم، وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، فعجَزت الملائكة عليهم السلام عن معرفة أسماء هذه المسميات، وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ

---

(١) الحَزْن من الأرض: الخَشِن الغليظ.

إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]، فقال الله: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣]، فشاهدت الملائكة من كمال هذا المخلوق وعلمه ما لم يكن لهم في حساب، وعرفوا بذلك على وجه المشاهدة كمال حكمة الله في خَلْق آدم، وعظَّموا آدم عليه السلام غاية التعظيم.

وقد أراد الله عز وجل أن يُظهر هذا التعظيم والاحترام لآدم عليه السلام من الملائكة ظاهرًا وباطنًا، فقال الله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤] إكرامًا له وتبجيلًا، وعبادة منكم لله، فبادَرُوا كلهم بالسجود، إلَّا إبليس أبى واستكبر، وكان إبليس بين الملائكة، وليس منهم؛ فقد كان من الجن المخلوقين من نار السَّموم، وقد وجَّه الله إليه الأمر بالسجود معهم، وكان قبل ذلك مُبْطِنًا للكفر بالله، والحسد لهذا المخلوق الذي فضَّله الله هذا التفضيل؛ فحمله كِبْرُه وكفره على الامتناع عن السجود لآدم كفرًا واستكبارًا، واعترض على ربه، وقدح في حكمته، فقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]، فقال الله له: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] فلم يخضع الخبيث لربه، ولم يَتُبْ إليه، بل بارَزَه بالعداوة، وصمَّم التصميم الجازم على عداوة آدم عليه السلام وذريته، ووطَّن نفسه ـ لما علم أنه حتم عليه الشقاء الأبدي ـ أن يدعو

الذرية بقوله وفعله وجنــوده إلى أن يكونوا مــن حزبه الذين كُتِبَت لهم دار البوار، فقال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] ليتفرغ لإعطاء العداوات حقها في آدم وذريته.

ولما كانت حكمة الله اقتضت أن يكــون الآدمي مركَّبًا من طبائع متباينة، وأخلاق طيبة أو خبيثة، وكان لا بد من تمييز هذه الأخلاق وتصفيتها بتقدير أسبابها من الابتلاء والامتحان الذي من أعظمه تمكين هذا العدو من دعوتهم إلى كل شــر، فأجابه سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [ص: ٨٠، ٨١] فقال الخبيث لربه معلنًا معصيتــه وعداوته لآدم وذريته: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، فمكَّنه الله تعالى من الأمر الذي يريده إبليس لآدم وذريته، فقال الله له: ﴿ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءً مَّوۡفُورًا ۞ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡ﴾ [الإسراء: ٦٣، ٦٤].

ثم إن الله تعالى بعد ذلك أتمَّ نعمته على آدم عليه السلام، فخلق منه زوجته حواء من جنسه وعلى شكله[1]؛ ليسكن إليها، وتتمُّ المقاصــد المتعدِّدة مــن الــزواج، وتحصل الذريــة بذلك،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥٢٥) بلفــظ: «إن الله تعالى لما خلق آدم، خُلِقَت حواء من ضلعه القصير».

وأدخلهما الجنة، وبيَّن له ولزوجته عداوةَ الشيطان، ووجوبَ الحذر منه، وأباح لهما الأكل من جميع ثمار الجنة، إلَّا شجرة معينــة فيها، حرَّمهــا عليهما، فمكثَــا في الجنة ما شــاء الله، وعدُوُّهما يراقبهمــا، وينظر الفرصة فيهما، فلما رأى ســرور آدم عليه السلام بهذه الجنة، ورغبته العظيمة في دوام البقاء فيها، جاءه في صــورة الصَّدِيق الناصــح، فقال: يا آدم، هــل أدُلُّك على شجرة إذا أكلت منها خُلِّدت في هذه الجنة، ودام لك الـمُلك الذي لا يبلى؟ فلم يَزَلْ يوســوس ويُزَيِّن ويَعِد ويُمَنِّي، ويُلْقِي عليهما من النصائح ـ وهي أكبر الغــش ـ حتى غرَّهما، فأكلَا من الشــجرة التي نهاهما الله عنها وحرَّمها عليهما، فلما أكلَا منها بــدت لهما ســوآتهما بعدمــا كانــا مســتورَين، وطَفِقَا يَخْصِفان[1] على أبدانهما العارية من أوراق تلك الجنة؛ ليكون بدل اللباس، فناداهما ربهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] فأوقع الله في قلبَيهما التوبة التامة، والإنابة الصادقة، وقالَا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعــراف: ٢٣] فتــاب الله عليهما، ومحا الذنب الذي أصابَا، ولكن الأمر الذي حذَّرهما الله منه، وهو الخروج من هذه الجنة إن تناولَا منها، قد تحتَّم ومضى، فخرجَا منها إلى الأرض التي اختلط خيرها بشــرِّها،

---

(١) أي: يَصِلان الورق بعضه ببعض ويُلْصِقان بعضه على بعض.

وسرورها بكدَرها، وأخبرهما الله أنه لا بد أن يبتليهما وذريتهما، وأن مَن آمن وعمل صالحًا كانت عاقبته خيرًا من حالته الأولى، ومن كذَّب وتولَّى فآخِرُ أمْرِه الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي[1]، وحذَّر الله ذرية آدم من الشيطان، وأبدلهم الله بذلك اللباس الذي نزعه الشيطان من الأبوَين لباسًا يواري السوآت من الريش وغيره، فيحصل به الجمال الظاهر في الحياة، ولباسًا أعلى من ذلك، وهو لباس التقوى، الذي هو لباس القلب والروح بالإيمان والإخلاص والإنابة، والتحلِّي بكل خُلُق جميل، والتخلِّي عن كل خُلُق رذيل؛ ثم إن الله بثَّ من آدم وزوجه رجالًا كثيرًا ونساءً، ونشرهم في الأرض، واستخلفهم فيها؛ لينظر كيف يعملون، وعاش آدم عليه السلام حتى رأى ذريته، فلما قضى الله الموت على آدم عليه السلام أرسل إليه الملائكة الكرام عليهم السلام، فقبضوا روحه، وغسلوه، وكفَّنوه، وحنَّطوه، وحفروا له ولَحَدُوه، وصلَّوْا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه، ثم حَثَوْا عليه التراب، ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سنتكم، وعَزَّوْا فيه ابنَه ووصيه شيثًا عليه السلام، وكان ذلك يوم الجمعة، وكان عمره عليه السلام ألف سنة.

---

(١) أي: الدائم الذي لا انقطاع له.

ابنا آدم

هما قابيلُ وهابيـــلُ ابنا آدم عليه السلام، وقد قــصَّ الله علينا نبأهما في ســـورة المائدة، لقد قضت شـــريعة الله في ذلك الحين أن يتزوج ذكرُ كلٍّ بطن بأنثـــى البطن الآخر، حيث كانت حواء تحمل في كل بطـــن ذكرًا وأنثى، وكانت أخت هابيل دميمـــة، وأخت قابيـــل جميلة، فـــأراد قابيل ـ وهو الأكبر ـ أن يستأثر بأخته على أخيه؛ لجمالها وحُسنها، وهي في شـــريعة الله لأخيه هابيل، فرفض هابيـــل ذلك، ووقع النزاع بين الأخوَين، فأمر آدم عليه السلام قابيـــل أن يُزوِّج هابيل إيَّاها، فأبى قابيل ذلك، فأمرهمـــا آدم عليه السلام أن يُقرِّبَا قربانًا، فمن تُقُبِّل منه فهـــي له، فقرَّب هابيل جذعةً[1] ســـمينة من خيار ماشـــيته؛ وكان صاحب غنم، وقرَّب قابيل حزمة من رديء زَرْعـــه؛ وكان صاحب زرع، فنزلت نارٌ من الســـماء فأكلت قربان هابيل، وتركت قربـــان قابيل، فغضب قابيل لذلك أشـــد الغضب، وقال لأخيه: تُقُبِّل قربانك ولم يُتقبَّل

---

(١) الجذعة من الحيوان: هي الشابَّة الفَتيَّة.

منـــي، واللهِ لأقتلنك حتى لا تنكح أختـــي. فقال له هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

ثم حذَّره ونصح له، وأنذره عذابَ الآخرة؛ لعل وعسى أن يصرفه ذلك عن عزمه على قتله، فقال: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، لكن قابيل حسد أخاه، فطوَّعت له نفسه قَتْل أخيه فقتله غدرًا، فلما قتله وقف غيـرَ بعيد عنه، ينظر ما قدَّمـت يداه وفعلت، وأحسَّ بوطأة الجناية على ذاتـه ووجدانه، لا يدري ما يصنع بجثة أخيه، وبعد مدة خاف عليه من السِّباع أن تأكله، فحمله على ظهره، فبعـث الله غرابًا ليُرِيَه كيف يـواري[1] جثة أخيه، حيث جاء هذا الغراب إلى غراب آخر ميت، فحفر له بمنقاره، وواری جثته تحت التراب، فلما رأى قابيل ذلك قال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]، فكان قابيل أول مَن سنَّ القتل في بني آدم، وكانت تلك أول جريمة تقع على الأرض بعد نزول آدم عليه السلام فيها.

---

(١) أي: يدفنها ويسترها.

إدريس عليه السلام

هو نبي الله إدريس بن يارد، من ذرية شيث بن آدم أبي البشر عليهما السلام، وكان إدريس عليه السلام قد وُلِدَ ببابل، وهو أول مَن أُعْطِي النبوة من بني آدم بعد آدم وشيث عليهما السلام، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام ثلاثمائة سنة وثماني سنين، وقد أثنى عليه الله في كتابه، ووصفه بأنه كان من الصابرين، ومن الصالحين، وأخبر سبحانه بأنه كان صِدِّيقًا نبيًّا، وأنه رفعه مكانًا عَلِيًّا، وقد أخذ عليه السلام في أول عمره بعلم شيث بن آدم، ولما كبر آتاه الله النبوة، فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعةَ آدم وشيث، فأطاعه نفر قليل، وخالَفه جمعٌ كبير، فنوى أن يفارقهم، وأمر مَن أطاعه منهم بذلك، فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم، فقالوا له: وأين نجد إذا رحلنا مثل بابل، فقال: إذا هاجرنا رزقنا الله غيرها، فخرج وخرجوا معه، حتى وصلوا إلى أرض مصر، فرأوا النيل، فأقام إدريس عليه السلام ومن معه بمصر، وأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ومكارم الأخلاق، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول مَن خَطَّ بالقلم، ونظر في علم

النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وهو أول مَن اتخذ السلاح، واشتهر عليه السلام بالمواعظ والحِكَم والآداب، فمِن حِكَمِه عليه السلام قوله: «**خير الدنيا حسرة، وشرها ندم**»، وقوله: «**السعيد مَن نظر إلى نفسه، وشفاعتُه عند ربه أعماله الصالحة**»، وقوله: «**الصبر مع الإيمان يُورِث الظَّفَر**»، وقد مَرَّ به رسول الله ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج، والتقى به في السماء الرابعة[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٤ ـ ١٦٤).



نوح عليه السلام



هو نبي الله نوح بن لامَك، من ذرية شـيث بن آدم عليه السلام، أول رسـول بُعِثَ إلى أهل الأرض، حيث مكث البشـر بعد آدم عليه السلام عشرة قرون كلها على الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك وأشـركوا بالله، وكانت بداية الشرك في قوم نوح لما مات من قومه أناسٌ صالحون فحزنـوا عليهم، ثم بعـد ذلك صوَّرُوا تماثيلهم؛ ليتذكَّروا بها أحوالهـم، وما كانوا عليه من الصلاح والعبادة، فلما هلك أولئك، ونُسِي العلم، عُبِدَتْ هذه الأصنام من دون الله عز وجل، فبعث الله نوحًـا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فما آمَن من قومه إلَّا قليل منهم، ولم يَزَلْ نوح عليه السلام يدعو قومه ليلًا ونهارًا، وسـرًّا وجهارًا، وما زادهم ذلك إلَّا إعراضًا عن الهدى، وتواصيًا فيما بينهم، ومَن بعدهم مِن ذريتهم علـى الإقامة على عبادة هذه الأوثـان، فلما رأى نوح عليه السلام أن التذكير لا ينفع فيهم بوجه من الوجوه، وأنه كلما جاء قرن كان أخبث مما قبله، دعا نوحٌ عليه السلام ربَّه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نـوح: ٢٦]، فأجـاب الله دعوته،

وأمره أن يصنع الفُلْك[١] برعاية منه، وحُسْن نظر وتعليم من الله له هذه الصنعة الجديدة التي امتنَّ الله بها على العباد، وصار نوح عليه السلام له الفضل والابتداء بهذه الصناعة التي حصل بها من المنافع الدينية والدنيوية، وأخبره الله تعالى بتحتُّم إغراقِهم، وأنه لا ينبغي أن يُخاطب ربه فيهم؛ فإنهم ظالمون، وجعل نوح عليه السلام يصنع الفُلْك، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سَخِرُوا منه، فقال لهم: إن تسخروا منا اليوم فإنَّا نسخر منكم إذا وقع الهلاك بكم، وأوحى الله تعالى إليه أنه إذا جاء ذلك الوقت وفار التنور[٢]، فلتحمل فيها من البهائم من كلٍّ زوجَين اثنين؛ ذكرًا وأنثى؛ ليبقى نسلها، وأمره أن يحمل معه جميع مَن آمَن معه من رجال ونساء، وأمره أن يحمل أهله إلَّا مَن سبق عليه القول بالهلاك، فلما أركب نوح عليه السلام جميع مَن أُمِرَ بحملهم قال لهم: سَمُّوا الله كلَّما جَرَتْ وكلَّما رَسَتْ، فحينئذٍ فجَّر الله الأرضَ عيونًا، وأمر السماء أن تَصُبَّ الماء المنهمر الكثير، فالتقت مياه السماء بمياه الأرض، وساحت على الأماكن المنخفضة، ثم ارتفعت شيئًا فشيئًا على كل المرتفعات حتى غَطَّتْ قِمَمَ الجبال الشاهقة، والسفينةُ تجري بهم في موج كالجبال تضرب يمينًا وشمالًا.

---

(١) الفُلْك: السفينة.

(٢) التنور: قيل: هو وجه الأرض، وقيل: مكان النار الذي يُخْبَز فيه.

في تلك الحال رأى نوح عليه السلام ابنَه الكافر الذي كان على مِلَّةِ قومه، وقد اعتزل أباه حتى في هذه الحال، فرآه مثل سائر قومه قد فَرَّ هاربًا من المياه الجارفة، فناداه نوح عليه السلام قائلًا: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، فتمادى به الغرور في تلك الحال، فقال لأبيه: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]، فلم يخطر بباله أن المياه سترتفع فوق رؤوس الجبال، فقال له نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، فلا يَعْصِم جبلٌ ولا حصن، ولا غير ذلك من أمر الله إلَّا مَن رَحِمَ الله، ورحمتُه في تلك الحال متعيِّنة في ركوب السفينة مع نوح عليه السلام، ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، فأغرق الله جميع الكافرين، ونَجَّى نوحًا عليه السلام ومَن معه أجمعين، وكان هذا الطوفان آيةً على أن ما جاء به نوح عليه السلام من التوحيد والرسالة والدين حق، وأن مَن خالفه فإنه مُبْطِل، ثم أمر الله السماء أن تُقْلِع عن الماء، والأرض أن تبلع ما فيها، ونقص الماءُ شيئًا فشيئًا، واستوت السفينة بعد غَيْض الماء على جبل الجودي، وحزن نوح عليه السلام على ابنه، فقال مناديًا رَبَّهُ مترفِّقًا متضرِّعًا: يا رب ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فقال له ربه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وهذا عتابٌ منه سبحانه لنوح عليه السلام، وتعليم له وموعظة، فقال

نــوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هــود: ٤٧]، ثــم إن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ هبط بعد ذلك إلى الأرض، وبارَك الله له في ذريته، وجعل ذريته هــم الباقين، فــكان أولاده «يافث» الذي ملأت ذريته المشــرق، و«حام» الذي ملأت ذريته المغرب، و«سام» الذي ملأت ذريته ما بين ذلك، ومكث عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومه ألف سنة إلَّا خمســين عامًا، ومكث بعد هلاكهم ما شاء الله أن يمكث، وهو من أُولي العزم من المرسَــلين، وأول الرسل إلى الناس، وهو الأب الثاني للبشــر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد أوصى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه عند موته بوصيــة عظيمة قال فيهــا: «آمرك باثنتيــن، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إلٰه إلَّا الله؛ فإن السماوات السبع، والأرضين الســبع، لو وُضِعَتْ في كفة، ووُضِعَت لا إلٰه إلَّا إلٰه في كفة، رَجَحَــتْ بهــن لا إلٰــه إلَّا الله، ولو أن الســماوات الســبع، والأرضين الســبع كنَّ حلقــة مُبْهَمَةً فضمَّتهــن لا إلٰه إلَّا الله، وســبحان الله وبحمده، فإن بها صلات كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكِبْر».

هود عليه السلام

هو نبي الله هود بن شـــالخ، من ذرية نوح عليه السلام، أول مَن تكلَّم بالعربية، بعثه الله تعالى إلى قومه عـــادٍ الأولى، وكانوا عربًا يُقيمون بالأحقاف؛ وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عُمَان وحضرموت بأرض مُطِلَّة على البحر يقال لها «الشِّحْر»، وكان اســـم واديهم مُغِيث، وكانوا كثيرًا ما يســـكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، فلما كثر شـــرُّهم، وتجبَّروا على عباد الله، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] مع شـــركهم بربهم، وتكذيبهم لرســـله، وكانوا أوَّلَ مَن عبد الأصنـــام بعد حادثة الطوفان، حيث كانت لهم أصنام ثلاثة: صدا، وصمودا، وهرا.

فبعث الله إليهم هودًا عليه السلام يدعوهـــم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن الشـــرك بالخالق، والتجبُّر على الخَلْق، فدعاهم بكل وســـيلة، وذكَّرهم بما أنعم الله عليهم به من خير الدنيا، والبَسْطة في الرزق والقوة، فرَدُّوا دعوته، وتكبَّروا عن إجابته، وقالوا: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الشـــعراء: ١٥٤]، فخوَّفوه بآلهتهم إن لم يَنْتَهِ أن تَمَسَّهُ بجنون أو ســـوء، فتحدَّاهم عَلَنًا، وقال لهم جهارًا: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟

أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥]، فلم يصلوا إليه بسوء، فلما حذَّرهم من طغيانهم تولَّى عنهم، وأخبرهم بنزول العذاب عليهم، فجاءهم العذاب معترضًا في الأفق، وكان الوقت وقت شدة عظيمة وحاجة شديدة إلى المطر، فاستبشروا وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، قال الله: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٤] بقولكم: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، فبعدما كانت الدنيا لهم ضاحكة، والعز بليغًا[١]، ومطالب الحياة متوفِّرة، وقد خضع لهم مَن حولهم من الأقطار والقبائل، إذ أرسل الله إليهم ريحًا صرصرًا في أيام نَحِسات ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠]، ونجَّى الله هودًا عليه السلام ومَن معه من المؤمنين، ومات عليه السلام بعد زمن من هذه الحادثة في شرقي حضرموت.

---

(١) أي: بالغًا مقدارًا عاليًا، وكأنه لا مزيد عليه.

صالح عليه السلام

هو نبي الله صالح بن عبيد بن آسف، من ذرية نوح عليه السلام، بعثه الله إلى قومه ثمود، وكانوا عربًا بعد عاد الأولى يسكنون منطقة الحِجْر التي كانت بين الحجاز وتبوك، وكانوا أهل مواشٍ كثيرة وحَرْث وزروع، وكانوا يتَّخذون من السهول قصورًا، ومن الجبال بيوتًا، فكفروا بنِعَم الله تعالى، وعبدوا الأصنام، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحًا عليه السلام من قبيلتهم، يعرفون نَسَبَهُ وحَسَبه، وفضله وكماله، وصدقه وأمانته، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وتَرْك ما كانوا يعبدون من دونه، وذَكَّرَهم بنِعَم الله وبأيامه بالأُمم المجاورة لهم، فلم يتبعه إلَّا القليل منهم، وحين ذَكَّرَهم وأقام الأدلة والبراهين على وجوب توحيد الله اشمأزُّوا منه، ونفروا واستكبروا، واجتمعوا في ناديهم، وأرادوا تعجيزَه، فقالوا لصالح: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلى صخرة قريبة منهم ـ ناقةً مِن صِفَتِها كَيْت وكَيْت، وذكروا أوصافًا سَمَّوْها ونعتوها، وتعنَّتوا فيها، وأن تكون عُشَرَاء طويلة، من صفتها كذا وكذا.

فقال لهم صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتُكم إلى ما سألتم

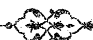
على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به، وتصدقوني فيما أُرْسِلتُ به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مُصَلَّاه، فصلى لله ﷻ، ثم دعا ربه ﷻ أن يجيبهم إلى ما طلبوا.

فأمر الله ﷻ صخرةً فانفطرتْ عن ناقةٍ عظيمة عُشَراء، على الصفة التي نعتوها، فآمَن بعضهم، واستمرَّ أكثرهم على عنادهم وكفرهم، وقال لهم صالح عليه السلام: ذَرُوها تأكُلْ في أرض الله، على الله رزقُها، ولكم نَفْعُها، تَرِدُ الماء يومًا، فتَرِدُ القبيلة بأَسْرِها على ضَرْعِها، كلٌّ يَصْدُر[1] عن ضرعها قد ملأ آنِيَتَهُ، ثم تَرِدُون الماء أنتم في اليوم الثاني، فمكثت الناقة على هذا ما شاء الله، وكان في قريتهم تسعةُ رهطٍ من شياطينهم قد قاوَموا ما جاء به صالح عليه السلام أشدَّ المقاومة، يَصُدُّون عن سبيل الله، ويُفْسِدون في الأرض ولا يُصْلِحون، وكان صالح عليه السلام قد حَذَّرهم مِن عَقْر الناقة؛ لما رأى من كِبْرِهم ورَدِّهم الحق، فعقد أولئك الملأ الأشرار مجلسًا عامًّا ليتَّفِقُوا على عَقْر الناقة، فلما اتفقوا على ذلك انتدبوا لذلك الأمر الشنيع أشقى القبيلة ـ قُدار بن سالف ـ فانبعث[2] واستعدَّ، وتكفَّل لهم بعقرها، وهم جميعهم راضون، بل آمِرُون، فعقرها، فكان هذا العقر

---

(١) أي: يرجع.

(٢) أي: أُرْسِل.



مُؤْذِنًا بهلاك القبيلة بأســرها، فلما شــعر صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأمر، ورأى منظرًا فظيعًا، عَلِم أن العذاب قــد تحتَّم لا محالة؛ لأن الجريمة قد تفاقمت، فقال لهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: تمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعدٌ غير مكذوب، ففي أثناء هذه المدة اتَّفق هؤلاء الرهط التســعة على أمرٍ أغلظَ من عَقْرِ الناقة، ألَا وهو قتلُ نبيهم صالــح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتعاهَدوا وتعاقَــدوا على هذه الفعلة المنكرة، وحلفوا الأيمان الـمُغَلَّظة، وكتموا أمرهم خشــيةً مِن مَنْع أهل بيته؛ لأنه كان من بيت عزٍّ وشرف، وقالوا: لنُبَيِّتَنَّه[1] وأهله، ثم إذا ظُنَّ بنا أننا قتلناه حلفنا لأوليائه أنَّنا ما شــهدنا مَهْلِك أهله، وإنَّا لصادقون، فدَبَّروا هذا المكر العظيم، ولكنهم يمكرون ويمكر الله بهم، فحيــن كَمنوا في أصل جبلٍ لينظروا الفرصة لقتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بعقوبتهم، فكانوا ســلفًا مُقَدَّمًا لقومهم إلى نــار جهنم، فأرســل الله صخرة من أعلى الجبل فشَــدَخَتْهم[2]، وقُتِلُوا أشــنع قِتْلة وأفظعها، وأصبحت ثمود يوم الخميــس، وهو اليــوم الأول من أيــام النَّظِرَة[3]، ووجوههم مُصْفَرَّة كما أنذرهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما أمســوا نادَوْا بأجمعهم: ألَا قد مضى يومٌ مِن الأجل.

---

(١) أي: لنقتُلَنَّهم ليلاً.

(٢) الشَّدْخ: التهشيم والتحطيم.

(٣) النَّظِرة: الإمهال.

ثم أصبحوا فـي اليوم الثاني من أيـام التأجيل، وهو يوم الجمعة، ووجوههم مُحْمَرَّة، فلما أمسـوا نادَوا: ألَا قد مضى يومان من الأجل.

ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيـام التأجيل، وهو يوم السبت، ووجوههم مُسْـوَدَّة، فلما أمْسَـوْا نادوا: ألا قد مضى الأجل.

فلما كان صبيحـة يوم الأحـد تحنَّطوا وتأهَّبـوا وقعدوا ينظرون ماذا يحل بهم من العذاب العظيـم، والنكال الأليم، لا يدرون كيف يُفْعَل بهم، ولا من أي جهة يأتيهم العذاب.

فلما أشـرقت شـمس يوم العذاب جاءتهـم صيحة من فوقهم، ورجفةٌ من أسفل منهم، فأصبحوا خامدين قد فاضت أرواحهم، وزهقت أنفسـهم، وسـكنت حركاتهم، ونجَّى الله صالحًـا عليه السلام ومَن معه مـن المؤمنين، وتولـى عنهم، وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعـراف: ٧٩]، ثم إن صالحًا عليه السلام انتقل بعد ذلك إلى حرم الله بمكة، فأقام فيه حتى توفَّاه الله عز وجل.

إبراهيم عليه السلام

هو أبو الأنبياء خليل الرحمٰن إبراهيم بن آزر، من ذرية سام بن نوح عليه السلام، وُلِد ببابل بأرض العراق، وكان أُمَّةً[١] في إيمانه ودعوته، ومواقفه وآثاره، بعثه الله تعالى رسولًا إلى قومه في العراق، وكانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم فلاسفة الصابئة الذين هم من أخبث الطوائف، وأعظمها ضررًا على الخلق، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى الإيمان بالله، وعبادته وحده دون ما سواه، وذكر تعالى في كتابه العزيز في مواضع شتى مناظرته لأبيه وقومه، فلم يَزَلْ إبراهيم عليه السلام مع قومه في دعوة وجدال، وقد أفحمهم، وأبطل جميع حُجَجِهم وشُبَهِهم، وفي ذات يوم خرجوا لعيدٍ من أعيادهم، وخرج معهم، فنظر نظرةً في النجوم، فقال: إني سقيم؛ لأنه خَشِيَ إن تَخَلَّف لغير هذه الوسيلة لم يدرك مطلوبَه؛ لأنه تظاهَرَ بعداوتها، والنهي الأكيد عنها وجهاد أهلها، فلما برزوا جميعًا إلى الصحراء كَرَّ راجعًا إلى بيت أصنامهم، فحطَّمَها كلها إلَّا صنمًا كبيرًا أبقى عليه

(١) أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير.

ليُلْزِمهم بالحجة، فلما رجعوا من عيدهم بادروا إلى أصنامهم، فرأوا فيها أفظع منظرٍ رآه أهلُها، فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠]، فلما تحقَّقوا أنه هو الذي حطمها أتَوْا به على مرأى الناس ومَسْمَعٍ، فقالوا له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فَسُقِط في أيديهم[1]، وظهر الحق، وزهق الباطل، فوبَّخَهُم الخليل عليه السلام بعد إقامة الحجة عليهم، فلما أَعْيَتْهُم المقاومة بالبراهين والحجج عدلوا إلى استعمال قوتهم وبطشهم في عقوبة إبراهيم عليه السلام، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فأوقدوا نارًا عظيمة فألْقَوْه فيها، فقال وهو في تلك الحال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقال الله تعالى للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فكانت الدوابُّ كلها تُطْفِئ النار عن إبراهيم عليه السلام إلَّا الوَزَغ[2]، فإنه جعل ينفخها عليه، فأنجاه الله تعالى من النار، ولم تَضُرَّه بشيء، وانتصر عليهم خليل الرحمٰن بالحجة والبرهان، ثم خرج إبراهيم عليه السلام من بين أظْهُرِهم

---

(١) أي: نَدِموا على فعلهم وتَحيَّروا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧)، لفظ البخاري: أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

مهاجِرًا بزوجته وابن أخيه لوط ﷺ إلى الديار الشامية، وفي أثناء مدة إقامته بالشام ذهب إلى مصر بزوجته سارة، وكانت من أَحْسَن نساء العالمين، فلما رآها ملك مصر، وكان جبارًا عنيدًا، لم يملك نفسه حتى أرادها على نفسها[1]، فدعت الله عليه، فكاد أن يموت، ثم أُطْلِقَ، ثم عاد ثانية، وكلما أرادها دعت عليه فصُرِع، ثم دعت له فأُطْلِق، فكفاها الله شرَّه، ووهبها جارية هي هاجر القبطية، وكانت سارة عاقرًا منذ كانت شابَّة، فوهبت هذه الجاريةَ لإبراهيم ﷺ ليتسرَّى بها لعلَّ الله يرزقه منها ولدًا، فأتت هاجر بإسماعيل على كِبَرٍ من إبراهيم، ففرح به فرحًا شديدًا، ولكن سارة أدركتها الغَيْرَة، فحلفت أن لا يساكنها بها، وذلك لحكمة أرادها الله، فذهب بها وبابنها إسماعيل إلى مكة، ولما كبر ابنه إسماعيل أمره الله أن يبني الكعبة البيت الحرام معه، وأن يُؤذِّن في الناس بالحج إلى بيت الله الحرام، وأنزل الله على إبراهيم ﷺ صُحُفًا ليهتدي بها أتباعه، ثم إنه لما كبرت سِنُّه أنجبت امرأته المؤمنة الصالحة سارة على الكبر ابنه إسحاق، وبقي إبراهيم ﷺ حيًّا حتى رأى حفيده يعقوب ﷺ، ومات إبراهيم ﷺ عن مائة وخمس وسبعين سنة، ودُفِن في الخليل بأرض فلسطين، وتولى دفنه ابناه إسماعيل وإسحاق، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) أي: حاول التعدي عليها للفاحشة.



لوط عليه السلام



هو نبي الله لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، فإبراهيم وهاران وناحور إخوة، بعث الله لوطًا عليه السلام إلى قومه بعد أن نزح عن مَحِلَّةِ عمه الخليل عليه السلام، بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة سَدُوم من أرض غور زُغَر، وكان أهلها من أفجر أهل الأرض وأكفرهم، وأسْوَئِهم طويةً، وأرْدَئِهم سريرةً وسيرةً؛ يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكرات، ويفعلون الفاحشة بالذُّكْران من العالمين، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الفواحش والمنكرات، والأفعال المستقبَحات، فتمادَوْا في ضلالهم وكفرهم وفجورهم وغَيِّهم، وقالوا عن لوط عليه السلام وأهله: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل ربَّ العالمين أن ينصره على القوم المفسدين، فغار الله لغَيْرَته، وغضب لغضبته، واستجاب لدعوته، وبعث رُسُلَه الكرام وملائكته العظام على صورة شُبَّان حِسَان؛ اختبارًا من الله تعالى لقوم لوط، وإقامةً

للحجة عليهم، فاستضافوا[1] لوطًا، وكان ذلك عند غروب الشمس، فساءَ لوطًا ذلك، وضاق بهم ذَرْعًا[2]، وقال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]؛ لعلمه بما عليه قومه من هذه الجرأة الشنيعة، فقال لهم لوط عليه السلام: والله يا هؤلاء، ما أعلم على وجه الأرض أهلَ بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلًا، ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرَّره أربع مرات، ولكن الملائكة الكرام عليهم السلام مكثوا؛ لأنهم أُمِرُوا أن لا يُهْلِكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك، فلم يعلم أحد بوجود هؤلاء الشبان الحِسَان إلَّا أهل بيت لوط عليه السلام، فخرجت والهة امرأةُ لوط ـ وكانت على دين قومها ـ فأخبرت القوم الخبر، وقالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاء القوم مسرعين إلى بيت لوط، ووقع ما خاف منه لوط عليه السلام، فجعل لوط عليه السلام يمانع قومَه الدخولَ ويدافعهم الباب، والباب مغلق، وهم يرومون فتحه ووُلُوجَه، ويقولون: لا أَرَب لنا في نسائنا، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا من غير النساء، وهو عليه السلام يَعِظُهم وينهاهم من وراء الباب، فلما ضاق عليه الأمر وعسر عليه الحال قال هذا المقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، ثم

---

(١) أي: طلبوا منه أن يستقبلهم ضُيوفًا عنده.
(٢) أي: ضاق صدره.

خرج عليهم جبريل عليه السلام، فضرب وجوههم بطرف جناحه، فطُمِسَتْ أعينهم، فكان هذا عذابًا مُعَجَّلًا لهم، فرجعوا يتحسَّسون الجدران، ويتوعَّدون رسول الرحمن، ويقولون: إذا كان الغد كان لنا وله شأن.

وعندها أمر الملائكة الكرام عليهم السلام لوطًا عليه السلام أن يَسْرِي[١] بأهله في أول الليل إلَّا امرأته فلا يَسْرِ بها، وأمروه أيضًا أن يُلِحَّ في السير حتى يخرج من ديارهم، وينجو من العذاب الذي سيَحُلُّ بهم، فلما كان الصباح جاءهم من أمر الله ما لا يُرَدُّ، ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يُصَدَّ، فاقتلع جبريلُ عليه السلام بطرف جناحه قريتهم من قرارها، وما معهم من الحيوانات، فرفع الجميع حتى بلغ بهم عنان السماء، حتى سمعت الملائكةُ أصوات دِيَكَتِهم، ونُباحَ كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها[٢]، وغشاها بمطرٍ من حجارةٍ من سجيل[٣] متتابعة، مرقومة[٤] على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم، والغائبين عنها من المسافرين، والنازحين، والشاذِّين منها.

---

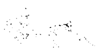
(١) السُّرَى: السَّيْر بالليل.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٢/ ٥٣٦، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن السُّدي ٢/ ٧٩٨.

(٣) سجيل: أي: طين محترق بالنار.

(٤) أي: مختومة.

وجعل الله مكان تلك البلاد بحرًا مُنْتِنة، لا يُنتَفَع بمائها، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لها، لرداءتها ودناءتها، فصارت عبرة وعظة، وآية على قدرة الله تعالى وعظمته، وعزته في انتقامه ممن خالَف أمره، وكذَّب رسله، واتَّبَع هواه وعصى مولاه، ثم إن لوطًا عليه السلام بعد ذلك انتقل هو وابنتاه إلى قرية صفرة بأرض الشام، وأقام بها حتى توفاه الله عز وجل.





إسماعيل عليه السلام



هو المولود البِكْر لإبراهيم الخليل عليه السلام، وقد رزقه الله له على كِبَر مِن هاجر القبطية المصرية، ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يأخذه وأمَّه إلى وادٍ غير ذي زرع في بلاد الحجاز، حيث لا سكن ولا ماء ولا زرع، وزوَّدهما إبراهيم عليه السلام بسقاء فيه ماء، وجراب فيه تمر، ووضعهما عند دَوْحة[1] قريبة من محل بئر زمزم، ثم قَفَّى إبراهيم عليه السلام منطلقًا، فتَبِعَتْه هاجر فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يُضَيِّعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيتَ، ثم رفع يدَيه إلى السماء، ودعا بهذه الدعوات، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ

(١) أي: شجرة عظيمة.

تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ثم استسلمت هاجر لأمر ربها، وجعلت تأكل من ذلك التمر، وتشرب من ذلك الماء حتى نَفِدَا، فعطشت ثم عطش ابنها، فجعل يتلوَّى من العطش، فذهبت لعلَّها ترى أحدًا، أو تجد مُغِيثًا، فصعدت أدنى جبل منها وهو الصفا، وتطلَّعت فلم تَرَ أحدًا، ثم ذهبت إلى المروة فصعدت عليه فتطلَّعت، فلم تَرَ أحدًا، ثم جعلت تتردَّد في ذلك الموضع وهي مكروبة مستغيثة بالله لها ولابنها، وبينما هي تمشي تلتفت نحو ابنها خشية السباع عليه، فإذا هبطت الوادي سعت حتى تصعد من جانبه الآخر؛ لئلا يخفى ابنها عن بصرها، فلما تمّت سبع مرات تسمَّعت حِسَّ الملَك، فبحث في الموضع الذي فيه زمزم فنبع الماء، فاشتدَّ فرحُ أمِّ إسماعيل به، فشربت منه وأرضعت ولدها، وحمدت الله على هذه النعمة العظيمة، وحَوَّطَت على الماء لئلا يَسِيح، ثم نزلت بها قبيلة من قبائل العرب يقال لهم: جُرْهُم، فأقاموا عندها.

فلما شَبَّ إسماعيل عليه السلام وتعلَّم العربية، وكان أول مَن تكلَّم بالعربية الفصيحة البليغة، تزوَّج عليه السلام امرأة من جُرْهُم، وفي أثناء هذه المدة ماتت أمه هاجر رضي الله عنها، وجاء إبراهيم عليه السلام بغَيْبَة إسماعيل عليه السلام حيث كان في الصيد، فدخل على امرأته، فسألها عن زوجها وعن عيشهم، فأخبرته أن زوجها قد ذهب

يتصيَّد، وأن عيشهم عيشُ الشــدة، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام، وقولي له يُغَيِّر عتبة بابه، ورجع من فوره لحكمةٍ أرادها الله، فلما جاء إســماعيل ﷺ كأنه آنَسَ شــيئًا، فسأل امرأته، فأخبرته أنه جاءهم شيخ بهذا الوصف، وأنه سأل عنك فأخبرته، وسألنا عن عيشــنا فأخبرته أننا في شدة، وهو يقرأ عليك الســلام، ويقول لك: غَيِّرْ عتبة بابــك، فقال: ذاك أبي، وأنتِ العتبة، الحقي بأهلك.

ثم بعد ذلك تزوَّج إســماعيل ﷺ غيرها، وبعد مدة جاء إبراهيــم ﷺ مرة أخرى وإســماعيل ﷺ أيضًا فــي الصيد، فدخل على امرأته، فسألها عن إسماعيل فأخبرته، وسألها عن عيشهم فأخبرته أنهم في نعمة وخير، وكانت امرأةً طيبة شاكرة لله ولزوجها، ثم قال لها: إذا جاء زوجك فأَقْرِئي عليه السلام، وقولي له: يُثَبِّتْ عتبةَ بابه، ثم رجع أيضًا من فَوْرِه قبل مواجهة إســماعيل لحكمة أرادها الله، فلما رجع إســماعيل ﷺ من صيده قال: هل جاءكم مــن أحد؟ فقالت: جاءنا شــيخ بهذا الوصف، فقال: هل قال لكم من شــيء؟ فقالت: سألنا عنك فأخبرته، وسألنا عن عيشنا فأخبرته أنَّا في نعمة، وأثنيتُ على الله، فقال إســماعيل ﷺ: فما قــال؟ قالت: هــو يقرأ عليك الســلام، ويأمرك أن تُثَبِّتَ عتبة بابك، فقال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أُمْسِكَكِ.

ثم عاد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مرة ثالثة فوجد إسـماعيل يَبْرِي نبلًا عند زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعَا كما يصنع الوالد الشـفيق بولده، فقال: يا إسماعيل، إن الله أمرني أن أبني هنا بيتًا يكون معبدًا للخلق إلى يوم القيامة، قال: سأُعِينُك على ذلك، فجعلَا يرفعان القواعد من البيت، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يبني، وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩][1].

فلما تَمَّ بنيان البيت أمر الله الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو الناس، ويُـؤَذِّن فيهم بالحج لهـذا البيت، فجعل يدعـو الناس وهم يَفِدُون إلى هذا البيت من كل فَجٍّ عميق؛ ليشهدوا منافع لهم.

وبعد أن تمكَّن حُبُّ إسماعيل من قلب إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أراد الله تعالى أن يمتحن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأمـره في المنام أن يذبح إسماعيل، ورؤيا الأنبياء وحي من الله، فقال لإسماعيل: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافـات: ١٠٢]، فقـال إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فلما خضعَا لأمر الله، وأسلمَا له، وألقاه على وجهه،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

وهَمَّ أن يذبحه من قفاه، جــاء الفرج من الله تبارك وتعالى، وفداه الله بكبشٍ عظيم، وكان هذا قبل ولادة إسحاق عليه السلام بسنين، وكان إسماعيل عليه السلام رسولًا نبيًّا، وكان صادق الوعد مع الله ومع الناس، وكان يدعو إلى الله، ويأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان مَرْضِيًّا عند الله، وقد بعثه الله لأهل مكة ومن حولها، فاستجابوا له واتَّبَعُــوه، ودخلوا في ديــن الله، يعبدون رب البيــت مؤمنين به موحِّدين له سبحانه، ومات إســماعيل عليه السلام بمكة، ودُفِن بالحِجْر مع أمه هاجر رضي الله عنها، وكان عمره يوم مات مائة وسبعًا وثلاثين سنة.

إسحاق عليه السلام

هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، رزقه الله به بعد ابنه البكر إسماعيل عليه السلام، وهو بشــارة الملائكة، وذلك حين أرسل الله ملائكته لإهلاك قرى قوم لوط، فمَرُّوا على إبراهيم عليه السلام في طريقهم، وكانوا في صورة آدميين، فلما دخلوا عليه وسلَّموا ردَّ عليهم الســلامَ، وبادَرهم بالضيافة، فراغ إلى أهله[1] بســرعة، فجاء بعجلٍ سمينٍ مشوي على الرَّضْف[2]، فقرَّبه إليهم، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٨]، فظن أنهم لصوص، فقالوا له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، وبشَّروه بغلام عليم، وكانت ســارة زوجة إبراهيــم عليه السلام قائمة في خدمتهــم، فلما سمعت بهذه البشارة دَهِشَــت وضربت وجهها بكفها متعجِّبة، وقالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هــود: ٧٣]،

---

(١) أي: ذهب إلى أهله متخفيًا منهم.

(٢) الرَّضْف: الحجارة الـمُحْمَاة بالشمس أو بالنار.

وبعد هذه الحادثة بقرابة عام وُلِد إسحاق عليه السلام، وكان عمر أبيه حين وُلِد مائة سنة، وعُمر أمه سارة تسعين سنة، وكانت ولادته بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة، وولادته عليه السلام آية من آيات الله تبارك وتعالى، وقد جعل الله إسحاق نبيًّا من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وجعل له لسان صِدْق عَلِيًّا، وجعله من المصطفَيْن الأخيار، وأرسله إلى الكنعانيين في بلاد الشام وفلسطين يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وعاش إسحاق عليه السلام في فلسطين حتى توفَّاه الله تعالى، ودفنه ابناه العيص ويعقوب بمدينة الخليل، وكان عمره حين مات مائة وثمانين سنة.

يعقوب عليه السلام

هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، ويسمى إسرائيل أيضًا، وقد بَشَّرَت به الملائكة جدَّه إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وكان يعقوب عليه السلام نبيًّا إلى الكنعانيين بأرض فلسطين، وكانت رسالته متمِّمة لرسالة أبيه إسحاق عليه السلام، وكان له اثنا عشر ولدًا، وحظي منهم يوسف عليه السلام بمكانة خاصة من قلب أبيه يعقوب، فتآمر عليه إخوته، وألقَوْه في البئر، وذكروا لأبيهم أن الذئب أكله، فحزن يعقوب لفراقه حزنًا شديدًا، وأصابه العمى من شدة الحزن، ثم رَدَّ الله إليه بصره، وجمع بينه وبين ولده بعد مدة من الزمن، وقد حرَّم يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الإبل، حيث مرض يومًا مرضًا شديدًا، فنذر لله أنه سيمتنع عن أحب الطعام إليه؛ تقرُّبًا إلى الله إن شفاه من مرضه، ولما شفاه الله وفَّى بنذره، والتزم بنوه من بعده بذلك، وحرَّموا ذلك الطعام على أنفسهم، مقتدِين بأبيهم يعقوب عليه السلام، وعندما حضر يعقوب عليه السلام الموت وأحسَّ بدُنُوِّ الأجل جمع أبناءه، وأخذ يوصيهم بالتمسُّك بالإيمان بالله تعالى، وسطر القرآن العظيم هذه الوصية العظيمة في سورة البقرة، حيث

قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ودُفِن يعقوب عليه السلام بمدينة الخليل بأرض فلسطين، وكان عمره حين مات مائة وثمانين سنة.



يوسف عليه السلام



هو نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وُلِد بأرض كنعان، وكان له أخ شقيق يُدعى بنيامين، وله إخوة عشرة غير أشقاء، تُوُفِّيَــت والدته وهــو صغير، فتعلَّــق يعقوب بابنَيْه يوســف وبنيامين، ورأى يوســف عليه السلام فــي المنام أحد عشــر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فقصَّها على أبيه يعقوب، فأمره أبوه بإخفاء الرؤيا عــن إخوته؛ لكيلا يحســدوه ويَكِيدوا له، فأثار إخوتَه تعلُّقُ أبيهما بابنَيْه، وخاصة يوسف، فدبَّروا مكيدة لقتله والتخلص منــه، أو إلقائه في أرض بعيــدة، أو في بئر، فيأخذه بعض المسافرين.

ولما عزموا على تنفيذ فعلتهم طلبوا من أبيهم يعقوب أن يُرْسِــلَهُ معهم، فخاف عليه أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون، ولكن إخوته ما زالوا بأبيهم حتى أقنعوه بخروجه معهم للعب خارج المدينة، واستقر رأيهم أن يُلقوه في البئر، فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيدًا، وفعلوا فعلتهم المنكَرة، أوحى الله تعالى إلى يوسف في هذه الحال: لتُخبِرَنَّهم بصنيعهم هذا وهم لا يشــعرون بك حالَ إخبارك لهم، ثم رجعــوا بعد ذلك إلى

أبيهم عِشاءً يتباكَوْن، وقالوا لأبيهم: قد أكله الذئب حيث ذهبنا نستبق وتركناه عند متاعنا، ولطَّخوا قميصه بدمٍ غير دمه، ونَسُوا أن يمزِّقوا الثوب، ففطن يعقوب لكيدهم، وقال لهم: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وفي هذه الأثناء مرَّ بالبئر جماعة من المسافرين، فأخذوا يوسف وباعوه بثمن قليل، وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته: أحْسِنِي إليه وأَكْرِمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، فلما بلغ يوسف عليه السلام أَشُدَّه أعطاه الله الحكمة والفِقه في الدين، وشبَّ يوسف عليه السلام، وكان في الجمال والحُسنِ بمكان، فراودتْه امرأة العزيز عن نفسه، فامتنع يوسف، وصرف الله عنه السوء والفحشاء، وتسابقَا نحو الباب؛ يوسف لينجو من مَكْرِها، وهي تمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه فشقَّته من الخلف، وعند ذلك وجدَا زوجها عند الباب، ثم ادَّعت أنه راوَدَها عن نفسها، فأظهر الله براءته، حيث شهد شاهدٌ من أهل البيت: إن كان قميص يوسف شُقَّ من أمامه فذلك قرينة على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب، وإن كان قميصه شُقَّ من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تُراوِده وهو هارب عنها، فهي كاذبة.

فلما شاهَد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شُقَّ من خلفه تحقَّق من صدق يوسف، وقال العزيز ليوسف: يا يوسف،

اضرِبْ عن هذا الأمر صفحًـا، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنتِ المغفرة لإثمك؛ فإنك كنتِ من الآثمين؛ بسبب مراودة يوسف عن نفسه.

فانتشر الخبر وذاع في المدينة بين أوساط النساء، وقالت بعض النساء: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حُبُّه شغاف قلبها[1]، إنَّا لنراها بسـبب مُراوَدَتها له وحُبِّها إياه وهو عبدٌ لها لفي ضلالٍ مبين.

فلما سـمعت امرأة العزيز إنكارهن عليهـا بعثت إليهن تدعوهن، وهَيَّأت لهن محلًّا فيه فراش ووسائد، وأعطت لكل واحـدة من المدعـوات سـكينًا تقطع بـه الطعـام، وقالت ليوسف عليه السلام: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعْظَمْنَه، واندهشن لحُسْـنه وجمالـه، وجرَّحـن أيديهن مـن شـدة الانبهار به بالسكاكين الـمُعَدَّة لقطع الطعام، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسـف: ٣١]، فقالت امرأة العزيز: هذا هو الفتى الـذي عَيَّرتُنَّني بسـبب حبّـه، ولقد طلبتـه، واحتَلْتُ لإغوائه، فامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلًا ليدخلنَّ السجن، وليكونن من الأذلاء.

ولكن يوسـف عليه السلام اعتصـم بربه، وفضَّل السـجن على ارتكاب الفاحشـة، فقـرَّروا بعـد ذلك أن يسـجنوه، فدخل

---

(١) شغاف القلب: غلافه.

الســـجن، ودخل معه فَتَيان، وطلبَا منه تفسير رؤياهما، فأخذ يوســـف ﷺ يدعوهما إلى عبادة الله وحده، ثم فسَّر لصاحبَيه الرؤيا، فأما الأول فإنه يعود لعمله فيسقي للملك، وأما الثاني فيُقتَل ويُصلَب، ويأكل الطيرُ من رأسه.

وأوصى يوسف ﷺ ســـاقي الملك أن يخبر الملك بشأنه، وأنه قد سُجِن بغير تهمة، فأنسى الشـــيطانُ الساقيَ ذِكْرَ يوسف عند الملك، فمكث يوســـف ﷺ في الســـجن بعـــد ذلك عدة ســـنين، ثم إن الملك بعد ذلك رأى رؤيا في منامه، فســـأل عن تأويلها، فعجَز الحاضرون عن ذلك، وقالوا للملك: تلك أضغاث أحلام، وفي هذه اللحظة تذكَّر الساقي يوسف ﷺ، فذهب إليه في سجنه، وطلب منه تفسير الرؤيا، ففسَّرها يوسف ﷺ.

ولما بلـــغ الملك تأويل يوســـف ﷺ للرؤيـــا أُعجب به وطلب رؤيته، وأمر بإخراجه من السجن، فرفض يوسف ﷺ الخروج حتى تظهر براءته أولًا، فأقرَّت امرأة العزيز بجرمها، واعترفت بصدق يوســـف فيما ادَّعاه من براءتـــه مما رَمَتْهُ به، فخرج يوسف ﷺ من سجنه، واســـتخلصه[1] الملك لنفسه، وجعله أمينًا على خزائن مصر، ومكَّن الله ليوسف في الأرض، ثم بعد مدة جاء إخوة يوســـف من فلســـطين إلى أرض مصر يطلبون شراء القمح؛ لقحطٍ عَمَّ بلادهم، فعرفهم يوسف ﷺ

(١) أي: جعله مُقَرَّبًا منه خالصًا له دون شريك.

ولم يعرفوه، فباعهم القمحَ، وطلب منهم إحضار أخيهم بنيامين في المرة القادمة، ثم عادوا وأخبروا أباهم بذلك، وطلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين، فرفض، وذَكَّرَهم بما فعلوا بيوسف، وبعد إلحاحٍ منهم وافق، بشرط أن يأخذ منهم العهد والميثاق أن يَرُدُّوه إليه، ففعلوا، ثم أوصاهم إذا دخلوا مصر ألَّا يدخلوا من باب واحد، خوفًا عليهم من الحسد، فلما قَدِموا على يوسف عليه السلام ومعهم أخوه الشقيق ضمَّ إليه أخاه الشقيق، وقال له سرًّا: إني أنا أخوك الشقيق يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوتك من الإيذاء والحقد عليَّ وعليك، ثم أمر يوسف عليه السلام خُدَّامه بتحميل إبل إخوته بالطعام، وجعل مكيال الملك الذي يكيل به الطعام للناس في وعاء أخيه الشقيق دون علمهم، فلما ارتحل إخوة يوسف عائدين إلى أهلهم نادى منادٍ في إثرهم: يا أصحاب الإبل المحمَّلة بالمِيرة، إنكم لسارقون. قال إخوة يوسف لمن نادى في إثرهم ومن معه من أصحابه: ماذا ضاع منكم حتى تتَّهمونا بالسرقة؟ قالوا: ضاع منَّا صاع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بصاعِ الملك قبل التفتيش جُعْلٌ، وهو حِمْل جَمَلٍ.

فقال لهم إخوة يوسف: والله لقد علمتم نزاهتنا كما رأيتموه من أحوالنا، وأنَّا ما جئنا أرض مصر لنفسد فيها، وما كنا في حياتنا سارقين.

قال المنادي وأصحابه: فما جزاء من سرقه عندكم إن كنتم كاذبين في دعواكم البراءة من السرقة؟

قال لهم إخوة يوسف: جزاء السـارق عندنا أن مَن وُجِد المسروق في وعائه يسلَّم برقبته للمسروق منه يسترِقُّه.

فأرجعوهم إلى يوسف عليه السلام لتفتيش أوعيتهم، فبدأ يوسف بتفتيش أوعيـة إخوته غير الأشـقاء قبل تفتيـش وعاء أخيه الشقيق؛ سـترًا للحيلة، ثم فتَّش وعاء شـقيقه، وأخرج صاع الملك منه، فقال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق شقيقُه يوسف من قبل سـرقته، فقال لهم يوسـف في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسـف: ٧٧]، فحاولوا اسـتعطافه بأخْذ أحدهم مكانَه رحمةً بأبيهم الطاعن في السن، ولكن يوسـف عليه السلام رفض عرضهم، فلما يئسوا من إجابة يوسف لطلبهم انفردوا عن الناس للتشاوُر، فقال أكبرهم: أُذكِّركم أن أباكم قد أخذ عليكم عهدًا مـن الله على أن تردُّوا إليه ابنه إلَّا أن يُحاط بكم بما لا تقدرون على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرَّطتم في يوسف، ولم تَفُوا بعهدكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يأذن لـي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، ثم أمرهم كبيرهم بـأن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه بما حدث، ولأنهم أهل لإسـاءة الظن قالوا لأبيهم: اسأل أهل مصر، واسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها، فلم

يصدقهم أبوهم في مقالهم هذا، وصبر فلم يشتكِ إلَّا إلى الله، فحزن واشتد حزنه حتى فَقَدَ بصره، ثم أمرهم أبوهم بالذهاب إلى مصر ليبحثوا عن ولدَيه، ثم عــادوا إلى مصر، فعرفوا أن العزيز هو أخوهم يوســف ﵇، واعتذروا إليه فعفا عنهم، ثم أعطاهم قميصه ليطرحــوه على وجه أبيه ليعــود إليه بصره، وطلب منهم أن يعودوا ويأتوا بأهلهم أجمعين، وجاء البشــير إلى يعقــوب ﵇ فألقى على وجهــه القميص، فــرَدَّ الله إليه بصره، وتاب الله على إخوة يوسف بعد اســتغفار أبيهم لهم، وتحقَّقت رؤيا يوسف ﵇ بعد أربعين سنة عاش فيها الحرمانَ والفقد بسبب الظلم والحسد، واجتمع شمل الأحبة بعد فُرْقَةٍ، واســتقرّت عائلة يعقــوب ﵇ بــأرض مصر، وهــم آمنون مطمئنون، وبعد ذلك توفي يعقوب ﵇، ثــم أعقبه وفاة ابنه يوسف ﵇، ودُفِنَا في مصر.





شعيب عليه السلام



هو نبي الله شعيب بن ميكيل، من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان فصيحًا مُفَوَّهًا، حيث كان بعض السلف يُلَقِّب شعيبًا بخطيب الأنبياء[1]؛ لفصاحته وعُلُوِّ عبارته، وبلاغته في دعوته لقومه، وقد بعثه الله تعالى إلى أهل مدين، وكانوا قومًا من العرب يسكنون مدينة مَدْيَن، وكانوا كفارًا يعبدون الأيكة ـ وهي شجرة من الأَيْك ـ وكانوا من أسوأ الناس معاملةً؛ حيث كانوا يقطعون السبيل، ويَبْخَسُون المكيال والميزان، ويُطفِّفون فيهما، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تَعاطِي هذه الأفعال القبيحة؛ من بَخْس الناس أشياءهم، وإخافتهم لهم في طرقاتهم، فآمَن به بعضهم، وكفر أكثرهم، فأخذوا يحتقرون شعيبًا عليه السلام ويستهزؤون به، وقد كانوا يُثْنُون عليه قبل هذا، ويقولون عنه: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، فوعظهم شعيب عليه السلام، وذَكَّرَهم بمصير مَن قبلهم من الأُمم، وكيف دَمَّرهم الله بأمرٍ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٠٧١).

منه، فذكَّرهم بقـوم نوح، وبقوم هود، وبقـوم صالح، وبقوم لوط، وبَيَّنَ لهم أن سـبيل النجاة في العودة إلى الله ﷻ، فما كان منهم إلَّا أن هَدَّدُوا شعيبًا بالقتل، أو بطرده من قريتهم، ثم خَيَّرُوه بين النفي أو العودة إلى مِلَّتِهم، ولكن شعيبًا عليه السلام ثبت بمـن آمن معه علـى ديـن الله تعالى، ولـم يأبَـهْ لتهديدهم ووعيدهم، فاسـتكبر هؤلاء المشـركون وتمرَّدوا على نَبِيِّهم الكريـم، وطالَبوه بأن يُنَـزِّل عليهم العقاب، فيُسْـقِط عليهم كِسَفًا[1] من السماء إن كان من الصادقين، فأنزل الله تعالى بهم أنواعًا من العقوبات، وأشـكالًا من البَلِيَّات، فسلَّط الله عليهم الرجفة فأسكنت الحركات، وأخذهم بصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وأرسل عليهم ظُلَّةً من شَرَرِ النار من سائر أرجائها والجهات، ونجَّى الله تعالى شعيبًا عليه السلام ومَن معه من المؤمنين، ثم إن شعيبًا عليه السلام لما حَلَّ عليهم العذاب تولَّى عنهم، ونعاهم إلى أنفسـهم، مُوَبِّخًا ومُؤَنِّبًـا ومُقَرِّعًا لهم، حيـث قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

---

(١) أي: قِطَعًا.



أيوب عليه السلام



هو نبي الله أيوب بن أموص، وينتهي نسـبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان بَرًّا تقيًا رحيمًا بالمسـاكين، يكفُل الأيتام والأرامل، ويُكرِم الضيف، ويُبَلِّغُ ابنَ السـبيل[1]، شاكرًا لأنعم الله تعالى، وبلغ من الكرم أنه لا يتناول طعامًا حتى يكون لديه ضيف فقير، وكان عليه السلام كثير المال من سـائر صنوفه وأنواعه؛ من الأنعام، والعبيد، والمواشـي، والأراضي المتَّسعة بأرض البثينة من أرض حوران بالشـام، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسُلِبَ منه ذلك كله، وابْتُلِي في جسده بأنواع البلاء، ولم يَبْقَ منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكِرٌ لله عز وجل في ليله ونهاره، وصباحه ومسـائه، وطال مرضه حتى عافَه[2] الجليـس، وأوحش منه الأنيس، وأُخْرِج من بلده، وانقطع عنـه الناس، ولم يَبْقَ أحدٌ يحنو عليه سـوى زوجته، التي كانت ترعى له حقَّه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردَّد إليه، فتُصْلِح

---

(١) ابن السبيل: المسافر الذي فقد ماله وانقطعت به الطريق.

(٢) أي: تَجَنَّبَه.

من شـأنه، وتُعِينه على قضاء حاجاته، وتقوم بمصلحته، فلما ضعف حالها، وقَـلَّ مالها، اضطـرت إلى أن تخـدم الناس بالأجر؛ لتُطْعِم أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرضي الله عنهـا وأرضاها، وهي صابرة معـه على ما حَلَّ بهمـا من فراق المـال والولد، وما يختصُّ بها مـن المصيبة بالزوج، وضِيـق ذات اليد، وخدمة الناس بعد السـعادة والنعمة والخدمة والحُرمة، ولم يَزِد هذا كله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلَّا صبرًا واحتسـابًا وحمدًا وشكرًا لربه، حتى أن المثل ليُضْرَب بصبره عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُضْرَب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع المصائب والبلايا، ومكـث أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في بلواه ثماني عشرة سنة، تسـاقَط فيها لحمه، حتى لم يَبْقَ إلَّا العظم والعصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طال عليها قالت: يا أيوب، لو دعوتَ ربك لفرَّج عنك، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد عشت سبعين سنة صحيحًا، فهو قليلٌ لله أن أصبرَ له سبعين سنة[١].

وفي يوم من الأيام جاء لأيـوب عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلان من إخوانه كانَا من أخَصِّ إخوانه له، فقال أحدهمـا لصاحبه: يعلم الله، لقد أذنـب أيوب ذنبًـا ما أذنبَه أحـد من العالميـن. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشـرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به.

---

(١) نقله ابن كثير في تفسيره عن السُّدِّيِّ.

فلما راحَا إليه لم يصبر الرجل حتـــى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غيـــر أن الله يعلم أني كنت أمُرُّ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأُكَفِّر عنهما، كراهيةَ أن يذكرَا الله إلَّا في حق.

ثم إن زوجة أيوب ضــاق عليها الحال، فلــم تجد أحدًا يســتخدمها، فعمدت فباعــت لبعض بنات الأشــراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره.

فقالت: خدمتُ به أناسًــا، فلما كان الغد لــم تجد أحدًا، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به، فأنكره أيضًا، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت خمارها عن رأسها، فلما رأى رأسها محلوقًا قال في دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فأوحى الله إلى أيوب فــي مكانــه أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢]، فاســتبطأته زوجته فتلقَّته تنظر إليه، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحســن ما كان من حال، فلما رأته قالت: أيْ بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت رجلًا أشــبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٠).

فأذهب الله ما في باطنه وظاهره من البلاء، ثم أعاد الله له أهله وماله، وأعطـــاه من النعم والخيرات شـــيئًا كثيرًا، وصار بهذا الصبر قدوةً للصابرين، وسَلْوَةً للمبتلين، وكان في مرضه قد وجد على زوجته المرأةِ البارَّة الرحيمة في بعض شـــيء، فحلف أن يجلدها مائة جلدة، فخفَّف الله عنه وعنها، وقيل له: خُذْ بيدك حزمة حشيش أو علف أو شماريخ، أو نحوها، فيها مائة عود، فاضرب به ولا تَحْنَـــث، وتوفي بعد مدة من الزمن أسوةُ الصابرين أيوب عليه السلام بسهل حوران بأرض الشام.





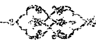
موسى عليه السلام



هو نبي الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام، من أعظم أنبياء بني إســرائيل، وُلِد في عهد فرعون مصر الذي اشتهر بظُلمه وبطشــه، وزاد طغيان فرعون عندما أبلغه أحد الســحرة عن ولادة مولود من بني إســرائيل تكون نهايــة فرعون على يده، فدفعته خشــيته علــى ملكه لذبــح أطفــال بني إســرائيل، واستحياء[1] نســائهم، وفي ظل هذه المقتلة وُلِد موسى عليه السلام، فكتمت أمه أمره خوفًا عليه مــن القتل، فألهمها الله لأن تضعه في تابوت، وتُلقِيه في اليم، ففعلت ذلــك، وأوصله اليم إلى قصر فرعون، فلما رأته امرأة فرعون أسكن الله محبتَه في قلبها، وقالــت لفرعون وجنــوده: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، ثــم أمــرت المرضعــات بإرضاعه، فحرَّم الله عليه الرضاعــة منهن، حتى جاءت أخت موسى عليه السلام، وقالت: هل أدُلُّكم على من يرضعه لكم؟ فدَلَّتْهم على أمه، فعاد لأمــه كما وعدها الله من قبــل، فأرضعته أمه،

---

(١) أي: استبقائهم على قيد الحياة للخدمة.



وقرَّت عينها برجوع ابنها إليها، ثم عاش موسى عليه السلام في قصر فرعون إلى أن بلغ أشُـدَّه، وفي يوم من الأيام مرَّ موسى عليه السلام على رجُلَيْن من أهل مصر يتشـاجران، أحدهما من قومه من بني إسرائيل، والآخر قبطي من قوم فرعون، فاستغاثه الذي من قومه، فاسـتجاب له موسـى، فضرب الآخـر فصرعه بتلك الضربـة وأرداه قتيلًا، ثم توارى موسـى عليه السلام عـن الأنظار، واسـتغفر ربه فغفر له، وذاع الخبر في مصر حتى بلغ القصر، فجاء رجل من أقصى مصر يسعى إلى موسى عليه السلام، فأخبره بما يُحاك له من فرعـون ومَلَئِه لقتله، ونصح لـه هذا الرجل بأن يخرج مُسْرِعًا من مصر لئلا يُقتَل، فخرج موسى عليه السلام من مصر مسـرعًا خائفًا يترقب حتى بلغ ماء مدين، فوجـد عليه رعاة يسقون، وعلى جانبهم امرأتان تنتظران فراغ الرعاة من سَقْيِهم، فقام موسى عليه السلام فسقى لهما، ثم تولى إلى ظل الشجرة، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصـص: ٢٤]، وبينما هو في تلك الحال جاءته إحداهما تمشـي على استحياء، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصـص: ٢٥]، فاستجاب موسـى عليه السلام لهذه الدعوة الكريمة، فلما جلس إلى أبيها ـ وكان شـيخًا كبيرًا ـ فقصَّ عليه موسى ما حدث له في مصر، فقال له هذا الشـيخ الكبير: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، فأشارت إحداهن على أبيها أن يستأجر موسـى عليه السلام؛ لأمانته وقوته، فعرض عليه أن يستأجره ثماني

سنين مقابل أن يُزوِّجه إحدى ابنتَيه هاتَين، فوافق موسى عليه السلام على عرضه، وتزوَّج بإحداهن، وقضى في مَدْيَن عشر سنين، ثم لما قضى موسى عليه السلام الأجل سار بأهله عائدًا إلى مصر.

فلما كان موسى في الطريق رأى نارًا، فأمر أهله بالمكوث حتى يأتي منها بخبر، فتوجَّه موسى عليه السلام إلى النار، فلما أتاها كلَّمه الله، وأمره أن يُلْقِي عصاه، فإذا هي تتحوَّل بأمر الله إلى حية تسعى، فخاف موسى عليه السلام منها، فأمره الله بأن يأخذها ولا يخاف، فرجعت عصا مرة أخرى، ثم أمره الله أن يضم يده إلى جناحه، فخرجت بيضاء من غير سوء، ثم أمره بأن يتوجَّه إلى فرعون ويدعوه، ويعرض عليها هذه الآيات، فطلب موسى عليه السلام من ربه أن يُرسِل معه أخاه هارون؛ ليعضده ويسانده في مواجهة فرعون وملئه، فأجابه ربه، فسار موسى بأخيه هارون إلى فرعون، فدعاه إلى عبادة الله وحده، وأن يرسل معه بني إسرائيل، فكذَّبه فرعون واتَّهمه بالسحر، ودعاه إلى مواجهة سَحَرَتِه، فواعَدَه موسى في ضحى يوم الزينة[1]، فجمع فرعون سحرته من جميع أنحاء مصر، وكانت مصر في تلك الفترة مشتهرة بالسحر والسحرة، فلما جاء السحرة لفرعون قالوا له: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، قال فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، فجُمع

(١) أي: يوم عيدٍ لهم يتزينون ويجتمعون فيه.

الناس لهذا الميقات، فتواجَه موسى عليه السلام بسحرة فرعون، فألقى السحرةُ حبالهم وعِصِيَّهم، ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، فألقى موسى عليه السلام عصاه فإذا هي حيَّة تسعى، فابتلعت سِحْرَهُم بأمر الله، فلما رأى السحرة ذلك ذُهِلوا وخَرُّوا لله سُجَّدًا، وقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢١]، فغضب فرعون أشد الغضب، وهدَّد السحرة بالقتل والصلب، لكنهم أبَوْا وامتنعوا، فقتلهم فرعون جميعًا، وصلبهم على جذوع النخل، وصبر موسى وهارون ومَن آمن من بني إسرائيل على ظلم فرعون وطغيانه، ودعا موسى عليه السلام ربه: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، وكان هارون عليه السلام يُؤَمِّن على دعاء أخيه، فاستجاب الله لهما، وأوحى إلى موسى عليه السلام بأن يخرج من مصر ليلًا بمن آمن معه، فسار فرعون بجنوده في إثره، فأدركهم عند شروق الشمس من اليوم العاشر من شهر محرَّم، فلما التقى الجمعان قال أصحاب موسى: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال موسى عليه السلام: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فشقَّ الله لهم فيه طريقًا يابسًا آمنًا، وعَبَرَ موسى عليه السلام ومن معه البحر آمنين إلى الضفة الأخرى، ولحقهم فرعون بجنوده، فلما بلغوا وسط

الماء أطبق الله عليهم البحر فهلكوا جميعًا، وندم فرعون حين أدركه الغرق، وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، ولكن قوله كان بعد فوات الآوان، فلم تُنَجِّه هذه الكلمات ولم تُغْنِ عنه شيئًا، فأقام موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في سيناء، وظَلَّلَ الله عليهم الغمام، وأكرمهم بإنزال المَنِّ والسلوى، وفَجَّر لهم من الحَجَر اثنتي عشرة عينًا، وكلَّم الله موسى عليه السلام مرة أخرى على جبل الطور، وأنزل عليه ألواحًا من السماء قد كُتِبت عليها التوراة، ثم عبد بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري أثناء ذهاب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه، فلما تأخَّرُوا في توبتهم وإعطاء العهد رفع الله فوقهم جبل الطور، وطلب منهم موسى عليه السلام دخول الأرض المقدَّسة - أرض فلسطين - فاتحين، ولكنهم جَبُنُوا وقعدوا عن الجهاد في سبيل الله، وقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، فحرَّم الله عليهم دخولها، وكتب عليهم التيه في صحراء سيناء أربعين سنة، وتوفي موسى عليه السلام في هذه الفترة من التِّيه.

هارون عليه السلام

هو نبـي الله هارون بـن عمـران، من ذريـة يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، وهو النبي الكريم الوزير الشقيق لموسى عليهما السلام، وكان هارون عليه السلام أكبر من موسى عليه السلام، حيث وُلِد هارون قبل أن يأمـر فرعون بقتـل أبنـاء بني إسـرائيل، ولمـا كلَّم الله موسـى عليه السلام على جبل الطور، وكلَّفه بالذهـاب إلى فرعون، سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يُرْسِل معه أخاه هارون؛ ليكون وزيرًا ومساعدًا ورِدْءًا[1] له، ولا يُعرَف أحدٌ أعظم في مِنَّتِه على أخيه من موسى عليه السلام، فوهب الله لموسى أخاه هارون نبيًّا رحمة منه، فكان هـارون نِعْمَ الأخ الصالح، والشـقيق الطيِّـب، والنبي المؤازِر، والوزيـر المعاوِن، واليد اليمنى، والسـاعد الكبير، والنصير باللسان، والمعين بالرأي والبدن، وكان هارون عليه السلام أفصح من موسـى عليه السلام، وهي فضيلة شهد بها أخوه له، وكان هارون عليه السلام صادقًا، أمينـًا، تقيًّا، صالحًا، هيِّنًا، ليِّنًا، سـهلًا، مطيعًا لموسى عليه السلام بالرغم من كونه أكبرَ منه سنًّا، وكان معظم

---

(١) أي: مُعِينًا.

وحي الله تعالى إلى هارون على لسـان موسـى عليهما السلام، وبعد هلاك فرعون ونجاة موسـى ومن معه اسـتخلف موسى عليه السلام أخاه هارون على بني إسـرائيل حيـن أراد الذهاب إلى جبل الطور لمناجاة ربه تبارك وتعالى، وأثناء غياب موسى عليه السلام عَبَدَ بنو إسـرائيل العجل، ونهاهـم هارون عليه السلام عن هـذا الفعل، وزجرهم حيث قـال لهـم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طـه: ٩٠]، فقالوا له: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، فرجع موسى عليه السلام غضبان أسـفًا بعد أن أخبره الله تعالى بما صنع قومه من بعده، فأخذ يلـوم أخاه هـارون عليه السلام ويأخذ بلحيتـه ورأسـه، ويقول له: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، فأجابه هارون عليه السلام قائلًا: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٤]، ومات النبي الوزير هارون عليه السلام سـنة ثمانٍ أو سـبع وخمسين وأربعمائة وألف قبل المسـيح عليه السلام، في جبل هور على تخـوم أرض أدوم في مدة التيـه في السـنة الثالثة من الخروج من مصر.

الخضر عليه السلام

هو نبي من أنبياء الله تعالى، وسُــمِّيَ الخضر بهذا الاسم؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هــي تهتزُّ من خلفه خضراء، وعاصَر الخضر موسى عليه السلام، والتقى به، وذلك أن موسى عليه السلام في يوم من الأيام قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئِل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال موسى عليه السلام: أنا. فعاتب الله على موسى إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، وأوحى إليه: بل عبــد من عبادي بمجمع البحرَين هو أعلم منك، فسأل موسى ربه: كيف السبيل إليه. فأوحى الله إليه أن تأخذ حوتًا في مِكْتَلٍ، فحيثمــا فَقَدْتَ الحوت فاتبعْه، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه يوشــع بن نون، ومعهما حوت ميت، وجَدَّا في السير، فلما وصلَا ملتقى البحرين جلسَا عند صخرة، فنام موسى وفتاه، وكان في جوف الصخرة عينٌ يقال لها: عين الحياة، لا يصيب من مائها شــيء إلَّا حيا، فأصاب الحوت من مــاء تلك العيــن، فتحرك الحوت، وانســلَّ من المكتل فدخل البحر، وأمســك الله عن الحوت جريان الماء، فصار عليه كالطاق، فلما استيقظ موسى نَسِي صاحبُه أن يخبره بأمر الحوت، فانطلقَا بقيةَ يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من

الغد شعر موسى بالجوع، فقال ليوشع: أحضر إلينا الغداء؛ فقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا. قال له يوشع: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من أمر الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلَّا الشيطان؛ فإن الحوت الميت دبَّت فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا، وكان أمره مما يُعجَب منه. قال موسى عليه السلام: ما حصل هو ما كُنَّا نطلبه؛ فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح. فرجعَا يَقُصَّان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فلما وصلَا إلى الصخرة إذ هما برجل مُسَجًّى[1] بثوب، مستلقيًا على قفاه، فسلَّم عليه موسى، فكشف الخضر عن وجهه الثوب، واستغرب الخضرُ رجلًا يسلِّم عليه في تلك البلاد، فسأل موسى وقال: وأنَّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.

فقال موسى: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتُعَلِّمني من العلم الذي علَّمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

قال له الخضر: يا موسى، إنك على علمٍ من علم الله، علَّمك الله إياه لا أعلمه، وأنا على علمٍ من علم الله علَّمَنيه الله لا تعلمه. قال موسى: بل أتبعك. فقال له الخضر: إنك يا موسى لن تُطِيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي؟ وكيف

---

(١) أي: مُغَطًّى.

لك الصبر على ما ســأفعله من أمورٍ تخفى عليك مما علَّمنيه الله تعالى؟

قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به.

فوافَق الخضــر، وقال له: فإن صاحَبْتَنِي فلا تســألني عن شيء تنكره حتى أُبَيِّن لك من أمره ما خَفِي عليك دون سؤال منك.

فانطلقا يمشيان على الســاحل، فمرَّت بهما سفينة، فطلبَا من أهلها أن يركبا معهــم، فحملوهم بغير أجر، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من ألواح من الســفينة بالقَدُوم فخرقها. فقال له موسى: أَخَرَقْتَ الســفينة لتُغرِق أهلَها وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلتَ أمرًا منكرًا. قال لــه الخَضِر: لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تســتطيع الصبــر على صحبتي. قال موســى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطَك عليَّ، ولا تُكَلِّفْني مشقةً في تعلُّمي منك، وعامِلْني بيسر ورِفْق. فقَبِل الخَضِر عُذْرَه.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرَا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر، فأنكر موســى عليه، وقال له: كيف قتلتَ نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف، ولم تقتل نفسًا حتى تستحق القتلَ بها؟ لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا. فقال الخَضِر لموسى معاتبًا ومُذَكِّرًا: ألم أقل لك: إنك

لن تستطيع معي صبرًا على ما ترى من أفعالي مما لم تُحِط به خُبْرًا؟ قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغتَ العذرَ في شأني ولم تُقَصِّر؛ حيث أخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا.

فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبَا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدَا فيها حائطًا مائلًا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئتَ لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يُضَيِّفُونا.

حينها قال الخَضِر لموسى: هذا وقتُ الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرتَ عليَّ من أفعالي التي فعلتُها، والتي لم تستطع صبرًا على تَرْك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

• أما السفينة التي خرقتُها فإنها كانت لأناسٍ مساكين يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها.

• وأما الغلام الذي قتلتُه فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن، فخشينا لو بقي الغلام حيًّا لَحمل والديه على الكفر والطغيان لأجل محبتهما إياه، فأردنا أن يُبْدِل الله أبوَيه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا وبِرًّا بهما.

• وأما الحائط الــذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى اســتوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيهــا الجدار، وكان تحته كنزٌ لهما من الذهــب والفضة، وكان أبوهما رجــلًا صالحًا، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغَا قوتهما، ويســتخرجَا كنزهما؛ رحمةً من ربك بهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفســي، وإنما فعلته عن أمر الله، وذلك الذي بَيَّنْتُ لك أســبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على تَرْك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها[1].

واختلف العلماء في حياة الخضر عليه السلام أو موته على قولَين:

ـ فذهب بعضهم ـ كالقرطبي والنووي وغيرهما ـ إلى أنه حي، وأنه شــرب مــن (عين الحيــاة) التي مَن شــرب منها لا يموت إلَّا قُرْبَ قيام الساعة، ومستندهم في ذلك غالِبُه مبني على حكايــات عن بعض مَــنْ يُظَنُّ به الصــلاح، ومنامات، وأحاديث مرفوعة عن أنس وعلي، وغيرهمــا، وكلها ضعيفة لا تقوم بها الحجة.

ـ وذهب آخرون ـ كالبخــاري وابن حجر وابن كثير وابن الجوزي وغيرهم ـ إلى وفاته قبل بعثــة المصطفى ﷺ، وهو الراجح.

---

(١) أخرجه مطولاً البخاري (١٢٢) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).



يوشع بن نون عليه السلام



هو نبـي من أنبيـاء بنـي إسـرائيل، حيـث كان خادمًا لموسـى عليه السلام وتابعًا له، وهو أحد الرجلَين اللَّذَيْن شجَّعَا بني إسرائيل على دخول أرض كنعان، حيث ذكرهما الله في كتابه في سـورة المائدة فـي قوله تعالـى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائـدة: ٢٣]، وكان موسى عليه السلام قد قرَّبه إلى نفسـه، واتخذه تلميذًا، وأخذه معه في رحلتـه العجيبة إلى الخضر عليه السلام، وكان يوشـع أحد الرجلَين اللَّذَيْن عَهِدَ إليهما موسى عليه السلام بأن يَقْسِمَا الأرض بين أسـباط بني إسـرائيل بعـد موسـى عليه السلام، وأمـر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يعهد إلى يوشـع تدبير أمرِ بني إسرائيل بعد وفاته، فعهد إليه موسى بذلك، فصار نبيًّا من بعده، وكان بنو إسـرائيل حينها في التيـه والضياع الذي كتبـه الله عليهم في صحراء سـيناء، وقد اسـتمرَّت مدة التيه أربعين عامًا، وبعد انقضاء هذه المدة خرج يوشـع عليه السلام بمن بقي منهم، فذهبوا إلى بيت المقدس، ونظم يوشع عليه السلام جيشًا من بني إسرائيل،

وقَسَّمَه إلى اثْنَيْ عشر قسمًا حسب الأسباط، واستطاع أن يفتح بهم أريحا، ثم بيت المقدس، ثم لَبِثَ فيهم سبعًا وعشرين سنة يحكم بينهم بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، وبعد موت يوشع عليه السلام عاد بنو إسرائيل إلى ضلالهم وفسادهم، وعبدوا الأصنام، وكان من أشهر أصنامهم في تلك الفترة: عشتار وأدونيس.





داود عليه السلام



هو داود بن إيشا، من ذرية يهوذا بن إسحاق عليه السلام، وهو نبيٌّ رسول، ومَلِك خليفة على بني إسرائيل، وكان جنديًّا في جيش طالوت، واشترك في المعركة الفاصلة ضد جالوت وجنوده الكافرين، وقَتَلَ داودُ عليه السلام جالوتَ، وانهزم جيش الكفّار بعد قَتْل قائدهم، ثم تزوَّج داود عليه السلام من ابنة طالوت، فأصبح ملكًا بعد ذلك على بني إسرائيل، وكان عمره حين ذلك ثلاثين سنة، فحكم بني إسرائيل بالعدل، وطبّق عليهم أحكام التوراة التي ضيَّعوها، وتتابعت انتصاراتهم على يدَيه، وأعزَّ الله تعالى بني إسرائيل به بعد أن كانوا في ذل وهوان، فلما بلغ داود عليه السلام سن الأربعين آتاه الله النبوة والعلم مع الملك والحكم، وجعله رسولًا لبني إسرائيل، وأنزل الله على عبده داود الزبور، الذي هو مُكَمِّلٌ للتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وآتاه الله صوتًا حسنًا في ذِكْرِه لربه وتسبيحه، وكانت الجبال والطير تُسَبِّح معه، ويسمع صوتها وهي تسبح ربها معه، وكان عليه السلام يأمر أن تُسْرَج دابته فيقرأ الزبور كلَّه قبل أن تُسْرَج[1]، وامتنَّ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٧).

على داود عليه السلام فألَانَ له الحديد، فكان بين يَدَيْه بإذن الله كالعجين، يَفْتِلُه بيده، فلا يحتاج إلى نار ولا مِطْرَقة، وعلَّمه سبحانه مَنْطِقَ الطير، وصنع الدروع التي يلبسها الجنود في الحروب، وكان داود عليه السلام يأكل من كَسْب يده، وكان مِن أكثر عباد الله عبادةً وذِكْرًا، حيث كان له محراب للعبادة، فلم يَشْغَلْه ما هو فيه من الملك والسلطان عن عبادة ربه الرحمٰن، وكان عليه السلام يصوم يومًا ويُفْطِر يومًا، وكان يصلي أكثر الليل، وكان ابنه سليمان يساعده في ملكه وإدارته للبلاد، وذكر القرآن استدراك سليمان على أبيه داود في حُكْمٍ أصدره الأب، فعدَّل له الابن، فأخذ الأب داود عليه السلام بحكم ابنه سليمان عليه السلام، ومات داود عليه السلام وكان عمره مائة سنة، وخلفه من بعده في المُلك والنبوة ابنه سليمان عليه السلام.



سليمان عليه السلام



هو نبي الله الملك سليمان بن داود، من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، آتاه الله النبوة والمُلك مثل أبيه، وقد كان مساعدًا لأبيه داود في حياته، فلما تُوُفِّي ورثه في النبوة والرسالة، وفي الملك والخلافة، وزاده الله ملكًا عظيمًا على ملك أبيه لم يحصل لأحد قبله ولا بعده، فسخَّر الله له الريح تجري بأمره وتدبيره بسهولة حيث أراد، غُدُوُّها شهر، ورَوَاحُها شهر، وفجَّر الله له النحاس من باطن الأرض، وسَخَّر الله له الجن والشياطين والعفاريت يعملون له الأعمال الشاقة بحسب إرادته، فيعملون له ما يشاء من محاريب[1] وتماثيل وجِفان[2] كالجوابِي[3]، وقدور راسيات، وسخَّر الله له من الجنود من الإنس والجن والطير، فهم يُوزَعُون[4] بتدبير عجيب ونظام فريد، وعلَّمه الله منطق الطير وسائر الحيوانات،

---

(١) المحاريب: أبنية كبيرة مرتفعة.

(٢) الجفان: جمع جفنة، وهي إناء كبير.

(٣) الجوابي: جمع جابية، وهي حوض كبير.

(٤) أي: يُساقُون.

فكانت تخاطبه ويفهـم كلامها، ومن هـذا مخاطبة الهدهد، وسـماع كلام النملة إذ نادت في قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فتبسَّم ضاحكًا من قولها، وقال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وكان سـليمان عليه السلام داعية إلى الإسـلام، ولَمَّـا عَلِم من الهدهـد ما كانت عليـه ملكة سـبأ وقومها من كفـر وعبادة للشـمس قام بواجبه في دعوتهم إلى الله تعالى، وهَدَّدَهم بعد رفضه لهَدِيَّتِهم، فلما وصلت ملكة سبأ لسليمان ورأت ما هو فيه من قوة، وأنه على حقٍّ أسلمت لله رب العالمين، فاتَّسعت رقعة مملكته وحدود سـلطانه، وأذعن له ملوك عصره، وقام سليمان عليه السلام بتجديد بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس، ليُصلِّي فيه المسلمون من شعبه.

وقضى الله تعالى بموت نبيه سليمان عليه السلام حينما كان واقفًا أمام الجن وهم يعملون الأعمال الشـاقة، وهـو متكئ على عصاه، فمات ولم تشعر الجن بموته، فأرسل الله دابَّة الأرض ـ الأَرَضة ـ فأكلت عصاه، فانكسـرت العصا، وسقطت جُثَّتُه علـى الأرض، وتفاجأ الجـن بموته الذي مضـى عليه وقتٌ طويل، وبذلك علموا أنهم لا يعلمون الغيب ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ

ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

وبوفاة سليمان عليه السلام نشب الخلاف بين بني إسرائيل، وتنازَعُوا على الملك، وانقسمت مملكتهم إلى مملكة في الشمال، ومملكة في الجنوب، ووقع القتل بينهم، وشاع الفجور والكفر، وضُيِّعَت التوراة، وكانت وفاته عليه السلام بالقدس حيث دُفِن فيه، وكان ذلك قبل المسيح عليه السلام بتسعمائة وثلاثين سنة.



إلياس عليه السلام



هو نبي الله إلياس بن ياسين، من ذرية هارون بن عمران عليه السلام، بعثه الله تعالى رسولًا إلى أهل بعلبك غربي دمشق، فقام بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأخبرهم بأن الله هو ربهم ورب آبائهم الأولين، وأمرهم عليه السلام بتقوى الله، ونهاهم عن عبادة صنمهم «بَعْل»، حيث كانوا يعتقدون فيه الألوهية، ويعتبرونه ربًّا لهم يدعونه ويطلبون منه ويتضرَّعون إليه، فأنكر عليهم إلياس ذلك، فكذَّبوه، ورفضوا دعوته، وأصَرُّوا على كُفْرِهم، فأهلكهم الله تعالى بعذاب من عنده، ونجَّى عبده إلياس عليه السلام والذين آمنوا معه، ووصف الله عبده إلياس عليه السلام بأنه رسول مؤمن مُحْسِنٌ عابد لله سبحانه، وأبقى الله ذِكْرَه الحَسَن فيمن جاء من بعده، وجعله قدوة حسنة في الدعوة إليه سبحانه وتعالى.



اليسع عليه السلام



هو نبي الله اليسع بن أخطوب، من ذرية يوسف عليه السلام، وقد نشأ اليسع على يَدَيْ إلياس عليه السلام، وكان مستخفيًا معه بجبل قاسيون، فلما مات إلياس عليه السلام خلفه اليسع في قومه، ونَبَّأه الله بعده، حيث أخذ يدعو قومه إلى الله تعالى مستمسكًا بمنهاج إلياس عليه السلام وشريعته، وقد كثرت في زمانه الأحداث العظام والخطايا الجسام، وكثر الملوك الجبابرة في الأرض، فقتلوا الأنبياء، وشَرَّدُوا الصالحين والأولياء، فذَكَّرَهم اليسع بالله تعالى، ووَعَظَهُم وخَوَّفَهم من عذاب الله وعقابه، ولكنهم لم يأبهوا بدعوته، ولم يسمعوا نصيحته، فسلَّط الله على هؤلاء الأشرار اللئام مَن يسومهم سوء العذاب، وتوفَّى الله نبيَّه اليسع عليه السلام، وكانت وفاته سنة أربعين وثمانمائة قبل المسيح عيسى عليه السلام، ودُفِن بالسَّامرة.

ذو الكفل عليه السلام

هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وسُمِّي بذي الكفل؛ لأنه تكفَّل ببعض الطاعات فوفى بها، وكان مُقامه بالشام، وكان في زمنــه نبي مــن أنبياء بني إســرائيل قــد كبر ســنه، قيل: إنه اليسع عليه السلام، ففكَّر أن يستخلف رجلًا على الناس يعمل عليهم في حياته حتى ينظر كيف يعمل، فجمع الناس فقال: مَن يتقبَّل مني بثلاثٍ أستخلفه؛ يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين فقال: أنا، فرَدَّه ذلك اليومَ، وقال مثلها في اليوم الثاني فســكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فاســتخلفه، فأتاه إبليس في صورة شــيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليــل والنهار إلَّا تلك النومة، فدَقَّ الباب فقال: مَن هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب. فقال: إن بيني وبين قومــي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا وفعلوا، فجعل يُطِيل حتى حضر الرَّوَاح وذهبت القائلة، فقال: إذا رحت فائْتِني فإني آخــذ حقَّك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يَرَه، فقام يبتغيه، فلما كان الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى

القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدَقَّ الباب، فقــال: مَن هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم. ففتح له الباب. فقال: ألم أَقُلْ لك: إذا قعدتُ فائتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جَحَدُوني. قال: فانْطَلِق، فإذا رحت فائتني، ففاتته القائلة، وراح فجعل ينظر فلا يراه، فشــقَّ عليه النعاس، فقال لبعــض أهله: لا تَدَعَنَّ أحــدًا يقرب هذا الباب حتى أنام؛ فإنه قد شقَّ عليَّ النوم.

فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كُوَّةً في البيت، فتَسَــوَّرَ منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ، فقال: يا فلان، ألم آمرك؟ فقال: أمَّا مِن قِبَلِي فلم تُؤْتَ، فانظر من أين أُتِيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلقٌ كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ فعرفه، فقال: أعَــدُو الله؟ قال: نعــم، أعييتنــي، ففعلت ما ترى لأغضبك، فعصمك الله، فسُــمِّيَ ذا الكفل؛ لأنه تكَفَّل بأمرٍ فوفى به، وأثنــى الله تعالى علــى ذي الكفل في كتابه بأحســن الثناء، ووصفه بأنه من الصابرين، ومن الأخيــار الذين اختارهم الله من خلقه، فاختــار لهم أكمــل الأحوال مــن الأعمــال والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال الســديدة، وأقام بالشام عليه السلام حتى توفَّاه الله تبارك وتعالى، وكان عمره حينئذٍ خمسًا وسبعين سنة.

يونس عليه السلام

هو نبي الله يونس بن متى، من ذرية بنيامين بن يوسف عليه السلام، أرسله إلى أهل نِينَوى، فدعاهم إلى الله فأَبَوْا عليه، ثم كَرَّرَ عليهم الدعوة، فأبوا، فتوَعَّدَهم بالعذاب، وخرج من بين أَظْهُرِهم، ولم يصبر الصبرَ الذي ينبغي، فلما ذهب يونس عليه السلام ألقى الله في قلوب قومه التوبة بعدما شهدوا مُقَدِّمات العذاب، فكشف الله عنهم العذاب، فتوجَّه يونس عليه السلام إلى البحر، فركب السفينة، فلما توسَّطت البحر اضطربت بهم، حتى شارفوا[1] على الغرق، ودار الأمر بين أن يَبْقُوا عليها جميعًا فيغرقوا، وبين أن يُلْقُوا بعضهم بمقدار ما تخفُّ به السفينة فيَسْلَم الباقون، فاختاروا الأخير، ثم اقترعوا، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام، فلم يسمحوا له بأن يُلْقَى، فأعادوها ثانية، فوقعت عليه أيضًا، فشمَّر ليخلع ثيابه ويُلْقِي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثةً فوقعت عليه أيضًا؛ لِمَا يريده الله به من الأمر العظيم، فألْقَوْه في البحر، فبعث الله عز وجل حوتًا عظيمًا فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل

(١) أي: أوشكوا.

له لحمًا، ولا يهشم له عظمًا، فأخذه الحوت، وطاف به البحار كلها، ولما استقرَّ يونس عليه السلام في بطن الحوت حَسِبَ أنه قد مات، فحرَّك جوارحه فتحرَّكت فإذا هو حي، فخرَّ لله ساجدًا، وقال: يا ربِّ، اتخذتُ لك مسجدًا لم يعبدك أحد في مثله، وسمع يونس عليه السلام تسبيحَ الحيتان للرحمن، وتسبيح الحصى لفالق الحب والنوى، فلما طالت المدة، وأحاطت به ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، في تلك الحالة العصيبة قصد يونس عليه السلام مَن يعلم السر والنجوى، ويكشف الضر والبلوى، سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دَقَّتْ، ومجيب الدعوات وإن عَظُمَتْ، فنادى ربه مُنِيبًا إليه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فأمر الله تعالى الحوت أن يُلْقِيَه بالعراء، فقذفه وهو مريض من شدة ما أصابه من الهول والكرب في بطن الحوت، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فأظلَّته بظلّها الظليل حتى قوي واشتد وتعافى بعدما كان في غاية الضعف والوهن والمرض، وهذا من رحمة الله بعبده، ونعمته عليه وإحسانه إليه، ثم أمره الله سبحانه أن يرجع إلى قومه فيُعَلِّمَهم ويدعوهم إليه، فاستجاب له أهل بلده، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، فأفاض الله عليهم من الخيرات والبركات، فعاشوا آمنين في ظلِّ شريعة الله التي بُعِثَ بها يونس عليه السلام، ثم بعد زمن توفي يونس عليه السلام بنينوى في أرض العراق.

زكريا عليه السلام

هو نبي الله زكريا بن دان، من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، وهو من آخر أنبياء بني إسرائيل، حيث بعثه الله تعالى رسولًا إلى بني إسـرائيل بعدما كثرت معاصيهم، وفَشَت المنكرات فيهم، وانتشر الظلم بينهم، وعمَّ الفساد فيهم، فدعاهم إلى الله تعالى حتى وهن عَظْمُه، واشـتعل رأسـه شـيبًا، وكان عليه السلام متزوجًا بخالة مريم ابنة عمران البَتُول[1]، وقد كَفَل زكريا مريم وقـام بشـؤونها، وكانت امـرأة زكريا عاقـرًا لا تَلِـد، فدعا زكريا عليه السلام ربَّه، وطلب منه أن يرزقه بغلام زَكِي[2]، فبعث الله له الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، وبشَّـرته الملائكة بيحيى الذي لم يجعل الله له من قبل سَمِيًّا[3]، وأنه سيكون من الأنبيـاء والصالحين، فطلـب زكريا عليه السلام من ربـه آية يقدِّمها لقومه، فجعل الله له آية في نفسه، فأمسك الله لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس، بينما يطلقـه إذا كان وحده، وذلك لمدة

---

(١) أي: المنقطعة عن الرجال.

(٢) أي: طاهر من الشرك والمعاصي.

(٣) قيل: لم يُسَمَّ أحد قبله: يحيى.

ثلاثة أيــام، فخـــرج زكريا عليه السلام علـــى قومه مـــن المحراب، وفوجئوا به يتعامَل معهم بالإشـــارة دون الكلام، حيث أشار لهم بيدَيه أن سَبِّحُوا الله بكرةً وأصيلًا، وبعد انقضاء هذه المدة أخبر زكريا عليه السلام قومه أن الله تعالى هو الذي أمسك لسانه، ثم أخبرهم أن الله تعالى جعل ذلك آية له؛ لأنه سيهبه بغلام اسمه يحيى، فأزال الله عُقْمَ امرأة زكريا بعد أن بلغت ســـن اليأس، وأنجبت يحيى عليه السلام، وقد كان زكريا عليه السلام نجَّارًا يعمل وينشر، وتوفي زكريا عليه السلام بعد أن أقرَّ الله عينه بنبوة ابنه من بعده.

يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو نبي الله يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، السَّـيِّد الحَصُور[1]، وُلِدَ قبل ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاثة أشهر، ونشأ في كَنَفِ والده النبي الكريم زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووهبه الله تعالى منذ صغره الحكمة والعلم حتى صار نبيًّا منذ صباه، فأخـذ الكتب بقوة واجتهاد، وكان ذا رحمة ورأفة وطهارة وصفـاء، وكان قائمًا بحقوق الله، وحقوق والدَيْه، وحقوق الخلق، وكان زاهدًا في متاع الدنيا، مُبتَعِدًا عن مَلَذَّاتها وزينتها، وكان كثير البكاء من خشية الله تبارك وتعالى، يدعو قومه إلى عبـادة الله تعالى، ويأمرهـم بالصلاة والصدقة والصيام والذِّكْر، واشترك هو وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الدعوة إلى الله وتذكير بني إسرائيل، وعاش عمره كله داعيًا إلى الله تعالى حتى وافاه الأجل قبل رَفْع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحَقَّق الله له السلام والأمان حتى يوم موته، حيث مات ميتة سَوِيَّة، لا كما زعم بعضهم أنه مات مقتولًا، وهذا هو ظاهر القرآن العظيم، والله تعالى أعلم.

---

(١) أي: لا شهوة له في النساء.



عيسى عليه السلام



هو نبي الله وكلمته المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، آخر أنبياء بني إسرائيل، حملت به أمه مريم البتول من غير أب بمعجزة إلٰهية، حيث أرسل الله تعالى لها جبريل عليه السلام وهي في خلوتها للعبادة بعيدة عن قومها، فجاءها في صورة رجل، وبَشَّرَها بأنه رسول من الله إليها لِيَهَبَ لها غلامًا زكيًا نبيًا، فتعجَّبت من ذلك، وكيف لها أن تَلِدَ به وهي عذراء عفيفة، فأجابها جبريل عليه السلام بأن هذه إرادة الله تعالى وتقديره سبحانه، فنفخ فيها من رُوح الله عز وجل، فحملت بأمر الله بابنها المسيح عيسى عليه السلام، وأتمَّ الله خَلْقَه في رَحِمِها في غضون ساعات قليلة، وألجأها الطَّلْقُ إلى جِذْع النخلة، وأجرى الله لها آيات عظيمة، وتكلَّم ابنها في المهد، وعَرَّف بنفسه وبرسالته ودعوته، وسط دهشة قومه، فلما كبر عيسى عليه السلام بعثه الله رسولًا إلى قومه بني إسرائيل، وأنزل الله تعالى عليه كتابه الإنجيل، وأجرى الله على يدَيه آيات عظيمة تدل على نبوته عليه السلام، فكان يُصوِّر الطين فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، ويُبْرِئ الأكمه[1] والأبرص،

(١) الذي وُلِد أعمى.

ويُحْيِي الموتى بإذن الله، ويُنْبِئ قومه عن كثير مما يأكلون ويَدَّخِرون في بيوتهم، وكل ذلك بقدرة الله ومشيئته، فآمن به بعضهم، وهم الحواريون الذين نصروه واستجابوا لدعوته، فكانوا أنصارَه، وكفر به أكثر بني إسرائيل، ووَشَوْا به إلى حاكم عصرهم، واتفقوا معه على قتله وصَلْبه، فألقى الله شَبَهَهُ على أحد الحواريين من أصحابه، فصار كأنه عيسى عليه السلام، ورفع الله عيسى إليه، وحماه، وطَهَّرَه من قَتْلهم، فأخذوا شبيهه فقتلوه، وصلبوه، وباؤوا بإثمه العظيم، وصدَّقهم النصارى في ذلك، ونَزَّهَه الله عن ذلك في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقد بَشَّر عيسى عليه السلام قومه برسالة محمد ﷺ، ونَوَّه باسمه، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتبعوه، وسينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان عند الإقامة لصلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق حاكمًا عادلًا واضعًا كفَّيْه على أجنحة ملكَين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمان اللؤلؤ، وسيقتل المسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلَّا الإسلام، ويبعث الله في أيامه أمة يأجوج ومأجوج، فيُهلكهم الله تعالى ببركة دعائه، وسيمكث المسيح عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يموت موتًا طبيعيًّا، ويُصلي عليه المسلمون ويدفنونه[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٦).



محمد ﷺ



هو سيِّد وَلَدِ آدم، خاتم الأنبياء والمرسلين، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وُلِد بمكة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول لعام الفيل، وتوفي أبوه بعدما حملت به أمه آمنة، وعاش طفولته في بني سعد عند مُرْضِعَتِه حليمة السعدية، وحدثت له حادثة شق صدره الشريف، فخافت عليه حليمة وأعادته إلى أمه، وعاش في كنف أمه حتى بلغ السادسة، فتوفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة بعد رجوعها من زيارة أخواله من بني النَّجَّار، ثم انتقلت كفالته إلى جده عبد المطلب الذي كان يُحِبُّه ويُقَرِّبه ويحنو عليه، فلما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب، فتولى كفالَتَه عمه أبو طالب، فاهتمَّ به، وسافر معه في تجارته إلى أرض الشام، ثم في شبابه اشتغل برعاية الغنم لأهل مكة، واشتهر بصدقه وأمانته عليه الصلاة والسلام، واشترك مع أعمامه في حرب الفِجَار التي كانت بين قريش وهوازن، وحضر مع أعمامه أيضًا حلف الفضول في دار عبد الله بن

جُذْعان، وهو حلف يقوم على نُصْرة المظلوم حتى يُؤدَّى إليه حقه، ولما بلغ من عمره خمسة وعشرين سنة سافَر في تجارة للسيدة خديجة إلى بلاد الشــام، ثم تزوَّجت به وكان عمرها أربعين سنة رضي الله عنها.

ولما اختلفت بطون قريش في مَن يضع الحجر الأســود بعد فراغهم من بناء الكعبة جعلوه حَكَمًا بينهم، وارتضوا فعله وحُكمه عليه الصلاة والسلام، وكان يتحنَّث ﷺ في غار حــراء الليالي ذوات العدد، وأول ما بُدِئ به الوحي الرؤيا الصادقة في منامه، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَق الصبح[1]، ولما بلغ ﷺ ســن الأربعين نزل عليه جبريل بالوحي حيــث كان يتعبَّد في غار حراء، وأقرأه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وكانت هذه الحادثة في الســابع عشر من شــهر رمضان المبارك سنة ثلاث عشــرة قبل الهجرة، فآمنــت به زوجتــه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ونصرته، وأيَّدته، وشَــدَّتْ من أَزْرِه، ثم أســلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه والبقية، واســتمر النبــي ﷺ في دعوته السرية ثلاث سنين حتى أَذِن الله له بالجهر بالدعوة، فقام وبلَّغ قومه، وازداد أتباعه مع مرور الأيام.

---

(١) أخرج البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله.

ثم اشتد أذى كفار قريش على رسـول الله ﷺ ومَن معه، فأمرهم رسـول الله ﷺ بالهجـرة إلى الحبشـة، ففيها الملك النجاشي الذي لا يُظْلَم عنده أحد[١]، فهاجر بعض المسلمين، وبَقِي في مكة بعضهم، فأسلم حمزة وعمر رضي الله عنهما، فأعزَّ الله دينه بإسلامهما، فاشـتد على قريش ذلك، وازداد حَنَقُهم، وكتبوا وثيقة عَلَّقوها في جوف الكعبة تَحُثُّ على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، فاستمرَّت المقاطعة ثلاث سنين.

ثم بعد هـذه الحادثة توفـي أبو طالـب، وتوفيت بعده خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فاشـتد حزن النبي ﷺ لفقدها، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف، فدعا ثقيفًا إلى الإسلام، ولكنهم امتنعوا عن إجابته، وأمـروا صبيانهم بِرَمْي الحجارة عليه ﷺ، فدَمِيَت قدماه الشـريفتان، فرجع إلى مكة في جوار الـمُطْعِم بن عدي.

ثم أُسْـرِي برسـول الله ﷺ بروحه وجسـده من المسجد الحرام إلى المسـجد الأقصـى، ثم عرج به إلى السـماوات العُلى، وفُرِضت عليـه الصلوات الخمس، ثم عـاد إلى بيته بمكة من ليلته.

وفي موسم الحج من السنة الثانية عشرة من البعثة حدثت

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥.

بيعة العقبة الأولى، حيث بايَع جماعــة من الأوس والخزرج رسول الله ﷺ على الســمع والطاعة في الـمَنْشَــط والـمَكْرَه، وبعدها بعام حدثت بيعة العقبة الثانية التي كان من أهم بنودها نُصرة رسول الله ﷺ، ومَنْعُه من المشركين لكي يُقيم دولته في المدينة.

وبعد ذلك بدأت الهجرة إلى المدينة، وكان آخر مَن هاجر رســول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديــق ﷺ، فلما وصل رســول الله ﷺ إلى المدينة قــام بأعمال، من أهمها تأســيس مسجده، وبناء حجراته، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووضع ميثاق المدينة؛ لضمان حقوق جميع شرائح المجتمع المدني.

ثم أَذِن الله للمسلمين بقتال المشــركين، فخاضوا معركة بدر في الســنة الثانية مــن الهجرة، فكانــت أول معركة ضد المشركين، وانتصر فيها المســلمون انتصارًا كبيرًا، ثم أرادت قريش أن تثأر مــن هزيمتها، فخاضت معركة أُحد في الســنة الثالثة من الهجرة التي انتصر فيها المشركون في نهاية المطاف بعد أن استغلوا مخالفة رُمُاة المسلمين لأمر النبي ﷺ، فطوَّقُوا المسلمين من الخلف، وألحقوا بهم الهزيمة.

ثم إن يهود بنــي النضير نقضوا عهدهم مع المســلمين في الســنة الرابعة من الهجرة، فأمــر رســول الله ﷺ بإجلائهم من

المدينة، وفي السَــنة الخامســة من الهجرة قام حُيَيُّ بن أخطب اليهودي بتحريــض قبائل العرب من غطفــان وقريش على قتال المسلمين في المدينة، ووعدهم بنُصْرَتِهم إن فعلوا ذلك، فاجتمع الأحزاب لقتال المســلمين، فأشار ســلمان الفارسي ﷺ على رســول الله ﷺ بحفر خندق حول المدينة، ففعل، فصد الخندقُ هجمات الأحزاب، ورَدَّ الله كيدهم، وكفى المسلمين شرهم.

ثم سار رســول الله ﷺ إلى بني قريظة بعد نَقْضِهم العهد، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حُكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه في الجاهلية، فحكم عليهم سعد بحكم الله أن تُقْتَل مقاتلتهم، وتُسْبَى ذراريهم ونساؤهم[1]، وذلك لخيانتهم ونقضهم العهد.

وفي الســنة السادســة من الهجرة النبويَّة وقعت حادثة صلح الحديبية، فكان فتحًا للمســلمين، وكان من أهم بنود هذا الصلح وَضْع الحرب بين الطرفَين عشــر ســنين، ومَن أحبَّ أن يدخل عهد رســول الله ﷺ دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ثم فتح رسول الله ﷺ حصون خيبر.

ثم قامت قريش في السنة الثامنة من الهجرة بنقض صلح

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨).

الحديبية، فسار رسول الله ﷺ بجيشه إلى مكة فاتحًا، ودخلها دون قتال، مطاطئ الرأس تواضعًا لله على نصره، وأمر ﷺ أصحابه ألَّا يقتلوا أحدًا إلَّا من أراد قتالهم، فحَطَّم عليه الصلاة والسلام الأصنامَ، وعفا عن أهل مكة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن مكث في مكة خمسة عشر يومًا(١).

ثم في السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى مكة، وجعله أميرًا على الحج، وأرسل في إثره عليًا رضي الله عنه بأن لا يَحُجَّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان(٢).

ثم جاءت بعد ذلك الوفود من قبائل العرب إلى المدينة تُعْلِن إسلامها.

ثم في السنة العاشرة من البعثة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، ومعه أكثر من مائة ألف من المسلمين، وخطب فيهم خطبة الوداع، وأنزل الله عليه قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم في السنة الحادية عشرة من الهجرة مرض رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر، واشتد المرض عليه حتى

---

(١) يُنظر في فتح مكة: سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٩.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

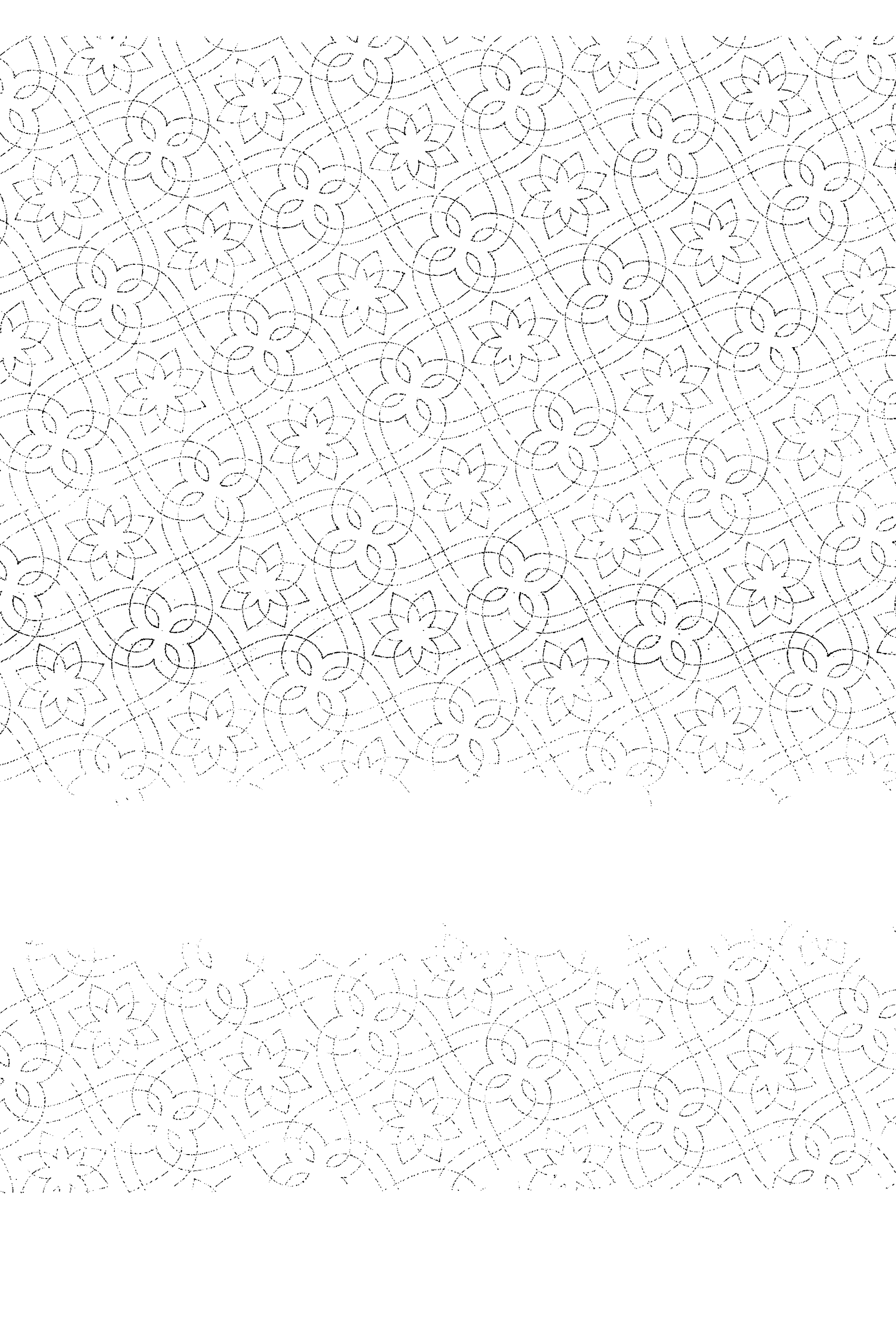
تعذَّر عليه الخروج إلى الصلاة، فأمر أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالنــاس[1]، ثم توفَّاه الله تعالى فــي ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بعد أن بَلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح للأُمة ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

أعلام

الملائكة





حَمَلةُ العرش



هم ملائكة عِظَام كِـرَام، يحملون عـرش الرحمن تبارك وتعالى، وممـن يحمل زاوية مـن زوايا العـرش على عاتقه الملك الكريم إسرافيل عليه السلام، وهو الـمُوكَّل بالنفخ في الصور، وعدد حملة العرش في الدنيا أربعة، ويوم القيامة ثمانية، وهم يُسـبِّحون بحمد الله عز وجل، وقد أخبر النبـي ﷺ عن عِظَم خَلْق أحدهم حين قال ﷺ: **«أُذِنَ لي أن أُحَدِّث عن مَلَك من ملائكة الله من حملة العرش؛ إن ما بين شـحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»**[1]، وهذا يدل على عظمة خلقهم وضخامته.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).



ميكال عليه السلام



هو مَلَك من الملائكــة العظام، ومِن أشــرفهم وأعلاهم مكانةً، وهو مُــوكَّل بالقطر والنبــات[1] اللَّذَيْــن يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر الله تعالى، يصرفون الرياح والســحاب كما يشــاء الــرب تبارك وتعالى، فما مِن قطرة تنزل من السماء إلَّا ومعها ملَك يُقَرِّرها في موضعها من الأرض، وقــد جاء ذكره في القــرآن مقترنًا بجبريل عليه السلام، حيث زعم اليهود أنهم يحبون ميكال؛ لأنه ينزل بالغيــث والخصب، فهو ملَــك الرأفة والرحمــة والتخفيف، ويكرهون جبريل عليه السلام؛ لأنه ينزل بالعنف والعذاب، فهو ملك الفظاظة والغلظة والتشــديد، فقالوا لرســول الله ﷺ: لو كان ســوى جبريل وَلِيَّك لاتَّبعناك وصدَّقنــاك؛ لأنه عدو لنا، وهو إنما ينزل بالشدة وســفك الدماء، فأنزل الله تعالى في شأنهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ

---

(١) أخرج أحمد (٢٤٨٣) أن اليهود قالــوا للنبي ﷺ: لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان.

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨][1]، فدلَّت هاتان الآيتان على كذب اليهود في زَعْمِهم موالاةَ ميكال عليه السلام وعداوة جبريل عليه السلام، ووَصَفَهُم الله تعالى بالكفر بسبب هذا الزعم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣).

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو الروح الأمين، وأفضـل الملائكة المكرَّمين، وأقواهم وأكملهـم، وهو مخلوق مـن نـور، ومنزلتُه من ربِّـه منزلة الحاجب مـن الملك، وهو مُـوكَّل بالوحي من السـماء إلى الأرض، وبتدمير الأمم الظالمة، تطيعه أملاكُ السماوات فيما يأمرهم به عن الله تبارك وتعالى، فهو قويٌّ على تنفيذ ما يُؤمر به، غير عاجزٍ عنـه، ومن قوَّته عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه رفـعَ مدائن قوم لوطٍ على جناحِه، ثم قلَبَها عليهم[١].

خلقَه اللهُ خلقًا عظيمًا مميَّزًا، فله سـتُّمائة جَناحٍ[٢]، وكان النبيُّ ﷺ يراه في صورة دحية بن خليفـة الكلبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما يأتيه وهو بحضرة الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[٣]، وهو كريم شريف، بَهِيُّ المنظر، وقد رآه النبي محمد ﷺ على صورته التي خَلَقَهُ الله جَلَّ جَلَالُهُ عليها مرتين، فرآه وقد سَدَّ الأُفُق لعِظَم خَلْقِه[٤]، حتى

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨٣٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣٥).

إنه قد غُشِــي على رســول الله ﷺ يوم رآه علــى صورته أول مرَّة[١].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومســلم (١٦١)، لفظ البخاري: فبينا أنا أمشي، سمعت صوتًا من الســماء، فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه، حتى هويت إلى الأرض.

مالك عليه السلام

هو خازن النار، وأحد الملائكة العِظام، إذا زَجَرَ زجرة أكل النارُ بعضُها بعضًا، وقد ورد اسمه في موضع واحد في سورة الزخرف، وهو الذي يوقد النار، وقد جاء وَصْفُه في السُّنَّة بأنه رجل كريه المَرآة ـ أي: قبيح المنظر ـ كأكره ما أنت راءٍ، وعنده نار يَحُشُّها ويسعى حولها(١) ـ أي: يوقدها ويجمع الحطب إليها ـ وإنما كان مالك عليه السلام كريه المنظر؛ لأن في ذلك زيادةَ عذاب لأهل النار، وأهل النار سينادون مالكًا وهم فيها بعد أن يَيْئسوا من سؤال الخَزَنة، ومالك عليه السلام رئيس عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فيقولون له: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فليُمِتْنا لنستريح؛ فإننا في غمٍّ شديد، وعذاب غليظ، لا صبر لنا عليه ولا جَلَد، فيقول لهم مالك خازن النار ـ ويجيبهم بعد أربعين سنة من طلبهم(٢) ـ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] مقيمون فيها، لا تخرجون منها أبدًا، فلم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن جريج وقتادة ١٧/ ١١٨ و١٢٤.

يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهــم بنقيض قَصْدِهم، وزادهم غمًّا إلى غَمِّهم، ثم وَبَّخَهم بما فعلوا، فقال: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزخرف: ٧٨] الذي يوجب عليكم أن تتبعوه، فلو تبعتموه لفُزْتُم وسعدتم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]، فلذلك شَقِيتم شقاوةً لا سعادة بعدها.

ملَك الموت

هو كبير ملائكة الموت الذي وكله الله بقبض أرواح العباد، وله أعـوان يعملون بأمره، ويُعينونه علـى قبض الأرواح، فإذا نزل الموت بالكافر نزع ملك الموت روحه نزعًا شديدًا عنيفًا، بلا رِفْق ولا هوادة، وقـد وصف الله نزعهـم لروحه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعـام: ٩٣]، وإذا نزل الموت بالمؤمن قبض ملك الموت روحه قبضًا رفيقًا، وبشرته الملائكة وثَبَّتَتْه عند احتضاره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].



هاروت وماروت



هما ملَكان، أحدهما اسمه هاروت، والثاني اسمه ماروت، أهبطهما الله تبارك وتعالى في مدينة بابل، وهي مدينة معروفة في العراق، كانت عاصمة الحضارة البابلية القديمة، وكان السحر منتشرًا فيها على أيدي اليهود الذي سباهم الملك البابلي «نبوخذ نصر» إليها، بعدما دمَّر مملكتهم في فلسطين، فأفزعوا الناس وأرهبوهم بهذا السحر، ورسموا حول السحر هالة عظيمة، وأوهموهم أن الساحر يقدِر على الضرِّ والنفع، وأنه يملك كل شيء، فأخضعوا الآخرين لهم، واسترهبوهم واستغفلوهم، فكانت مهمة هذين الملكَين هاروت وماروت في بابل متعلقةً بالسحر والسحرة، وإزالة ما عَلِق في نفوس الناس من هلع بسببه، فكانَا يعلِّمان الناس في بابل السحرَ، ويكشفان لهم حقيقته، ويُقَدِّمان لهم المبادئ والأُسس التي يقوم عليها، ويُزيلان الهالة المرسومة حوله، وكأنهما يقولان لهم: إن السحر يمكن أن يتعلَّمه الإنسان، وإنه ليس ألغازًا وطلاسم، بل هو مثْلُ أَي علم من العلوم، يحصل بالتعليم والكسب، وإن الساحر لا يضرُّ شخصًا ولا ينفع آخر إلَّا بإذن

الله، فكانا يُعلِّمان السحر لكشـف حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلَّموه ويمارسـوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يُعلِّمان من أحد حتى يقولَا: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلُّمك السحر، فمن لم يقبل نُصْحَهُما تعلَّم منهما السـحر، ومن السحر نوعٌ يفرِّق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهمـا، وما يضر أولئك السحرةُ أيَّ أحد إلَّا بإذن الله وبعد مشيئته، وبهذا انتهت مهمة الملكَين ببابل هاروت وماروت، وصعدا إلى السـماء ملكَيْن كريمَيْن كما نزلَا منها ملكَيْن كريمَيْن.

أعلام

الكتـب



صحف إبراهيم عليه السلام



هي الصحف التي أنزلها الله على نبيه الخليل إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من شـــهر رمضان، حيث كان غالب ما جاء فيها مواعظ وحِكمًا وعِبَرًا، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم في عدة مواضع، منها الـمُجْمَل، ومنها الـمُبَيَّن؛ فأما المواضع الـمُجْمَلة ففي قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقـرة: ١٣٦]، وفي قولــه: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنـزِلَ عَلَيۡـنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيـمَ وَإِسۡمَٰعِيـلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمـران: ٨٤]، وأمـا المواضع الصريحة ففي سـورة النجم: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ۞ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ۞ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۞ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۞ وَإِبۡرَٰهِيـمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۞ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٣ ـ ٤١] إلى آخر السـورة، وفي سورة الأعلى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٩].





التوراة



هي كتاب الله الذي أنزله على كليمه موسى عليه السلام عندما ناجاه على جبل الطور في السادس من شهر رمضان، وذلك بعدما أخرج الله بني إسرائيل من مصر، وأنجاهم من فرعون وجنوده، حيث أمر الله تعالى ملائكته أن يكتبوا التوراة على ألواح، ثم واعَد الله موسى أن يأتي إلى جبل الطور، فغادَر موسى عليه السلام بني إسرائيل، واستخلف عليهم أخاه هارون عليه السلام؛ لأنه سيغيب عنهم أربعين يومًا، وبعد انقضاء الأيام الأربعين كلَّم الله موسى على جبل الطور، وأنزل عليه التوراة مكتوبةً على الألواح، وأمره أن يأخذها إلى قومه؛ ليلتزموا بها، ويُنَفِّذوا ما فيها.

فطبَّق موسى عليه السلام ما كان فيها من أحكام وشرائع، واهتدى بها قومه، وأثنى الله على التوراة في كتابه، ووصفها بأنها نور وهدى وضياء ورحمة، وفرقان وحق؛ لأنها كتابه وشرعه وكلامه وحُكمه، وكلَّف الله اليهود أحبارًا وشعبًا بالعمل بكتابه التوراة، والمحافظة عليها، وأوجب عليهم حفظها، وعدم تضييعها أو التفريط فيها، ولكن بعد وفاة موسى عليه السلام بزمن

حرَّف أحبار اليهود التوراة وطَمَسوا نورها، وملؤوها بالأباطيل والأكاذيب، وزعموا أنها من عند الله تعالى، فضَيَّعُوا الأمانة، وحرَّفوا الكتاب بعدما كتبوه بأيديهم، وأدخلوا فيه كلامهم، وزعموا أن هذا الكتاب الجديد المختلط الممزوج بكلامهم هو كله كلام الله، وأسْمَوْا هذا الخليط «العهد القديم»، وزعموا أنه هو «الكتاب المقدَّس» الذي أنزله الله على موسى عليه السلام وغيره من أنبيائهم! فلذلك شبَّههم الله تعالى بالحمار الذي يحمل على ظهره أسفار الكتب، حيث قال في كتابه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، والقرآن ناسخ للتوراة، ولغيرها من الكتب السابقة، فقد أخبرنا الله في آيات القرآن عن تحريف اليهود للتوراة، وذَمَّهُم ووَبَّخَهُم، وأوقع بهم غَضَبَهُ ولعنته، وأعلن كُفْرَهم وخلودهم في نار جهنم، وهذا ما يجب أن يؤمن به المسلم؛ تصديقًا لما ذكره الله سبحانه وتعالى في مُحْكَم تنزيله.



الزبور



هو كتاب الله الذي أنزله على نبيه داود عليه السلام في شهر رمضان، ومعنى الزبور: المكتوب، ولم يأتِ هذا الكتاب على شاكلة الكتب السماوية الأخرى التي كانت من قبله أو من بعده فيما تحتويه من تشريعات وأحكام، وبيان للحلال والحرام، والواجب والمباح، وإنما جاء كتابًا فيه من المواعظ والحِكَم ما يُستعان بها على صلاح الحال، حيث يحتوي الزبور على مائة وخمسين سورة ليس فيها حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، إنما هو تحميد وتمجيد لله تعالى، وحِكَم ومواعظ، وكان داود عليه السلام قد رُزِق حُسْن الصوت، فإذا أخذ في تلاوة الزبور كفَّت الطيرُ عن الطيران، ووقفت على الأغصان لتستمع لصوته الندي، وتُسَبِّح بتسبيحه، وتُرَجِّع بترجيعه، والجبال كذلك تُردِّد معه بالعشي والإبكار، تجيبُه وتُسَبِّح الله معه كلما سبَّح بكرة وعشيًّا، والجنّ والإنس والدواب كانت تعكف على صوته الجميل.

الإنجيل

هو كتاب الله الذي أنزله على المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاء مكمِّلًا للتوراة، ومُصدِّقًا لها، وموافِقًا لها في كثير من الشرائع، ومنها البشارة بالرسول الخاتم محمد ﷺ، وأحلَّ الله فيه لبني إسرائيل بعضَ ما حرَّمه عليهم عقابًا لهم، ووصف الله تعالى الإنجيل بأنه هدى ونور، وبعد رَفْع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل التحريف الإنجيلَ، فغُيِّر فيه وبُدِّل، وزِيد فيه ونُقِص، فحرَّفه الرهبان، ومزجوا كلام الله بكلامهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، وأزالوا هداه، وطمسوا نوره، وضَلُّوا بتحريفهم له وأضلُّوا، وقد نسخه الله تعالى كما نسخ التوراة من قبله بالقرآن العظيم؛ كتابِ الهداية والنور الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد تكفَّل الله بحفظه إلى قيام الساعة.



القرآن



هو كلام الله تعالى المُعْجِز، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته، المبدوء بسورة الحمد، المختوم بسورة الناس، الذي ختم الله به الكتب، المنَزَّل على قلب سيدنا محمد ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان، وهو كتاب الإسلام، فيه عقائده وعباداته، وحِكَمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه وأخباره، وهدايته ودلالته، أنقذ الله به الأمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، فهو الرحمة المُسْدَاة[1]، والنور المبين، والمَحَجَّة[2] البيضاء التي لا يزيغ عنها إلَّا هالِكٌ، فيه نبأ الأوَّلين، وخبر الآخرين، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، فهو حبل الله المتين، والذِّكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلَق على كثرة

---

(١) أي: التي أحسن الله إلينا بها.

(٢) المحجة: الطريق الواضحة.

الرَّدِّ[1]، ولا تنقضي عجائبه، من قــال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومــن حكم به عدل، ومــن دعا إليه هُــدِي إلى صراط مســتقيم[2]، فهو عصمة لمن تمسَّــك به، ونجــاة لمن تبعه، لا يعوج فيُقوَّم، ولا يزيغ فيُسْتَعْتَب[3]، من قرأ حرفًا منه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها[4]، وسيرفع الله تعالى القرآن في آخر الزمان من الصدور والسطور[5].

(١) أي: لا يزول رونقه ولذة قراءته وســماعه مهما كثر تكراره على ألســنة التالين وأذان السامعين.

(٢) أخرج الترمذي (٢٩٠٦) عــن النبي ﷺ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم...»

(٣) يُسْتَعْتَب: أي: يُرَدُّ إلى الصواب.

(٤) أخرج الترمذي (٢٩١٠): من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

(٥) أخرج الدارمي في سننه (٣٣٤٣) عن ابن مسعود قال: ليُسْرَيَنَّ على القرآن ذات ليلة ولا يُتْرَك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلَّا رُفِعت.

أعلام
الصالحين



زيد بن حارثة رضي الله عنه



هو الصحابي الجليل زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، وُلِدَ في سـنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة، فلما بلغ زيد الثامنة من عمره خرجت به أمه سـعدى بنت ثعلبة لزيارة قومها بني (معن)، وبينمـا كانت في طريقها بالقرب مـن قومها أغارت عليهم خيل لبني (القيـن)، فأخذوا المال، واسـتاقوا الإبل، وسَـبُوا الذراري، فظلَّت أمـه بفقده لا تَجِفُّ لهـا دمعة، ولا تنتهي لها عَبْرَة، ولا تهدأ لها لوعة، ولا يطمئن لها بال.

ثم إن زيدًا عُرِض للبيع في سـوق عكاظ، وكانت سوقًا تقيمها العرب فـي مكة في الأشـهر الحُرُم للبيع والشـراء، وتتناشَد الأشعار فيه، فاشـتراه حكيم بن حزام بن خُوَيْلد ابنُ أخي خديجة بنت خويلـد رضي الله عنها، وكان حكيم بن حزام واحدًا من سـادات قريـش، فوهبـه لعمَّته خديجـة، ولمـا نالت خديجة رضي الله عنها شرف الزواج برسول الله ﷺ وهبته زيدًا، ولم يكن الرسول ﷺ قد بُعِث آنذاك.

سَعِدَ زيدٌ بالإقامة مع رسـول الله ﷺ، وأحبَّه حُبًّا شديدًا، وأَحَبَّه رسول الله ﷺ حبًّا شـديدًا كذلك، فعلم أبوه حارثة بن

شراحيل بوجوده في مكة، فســافر إلى مكة، وأخذ معه أموالًا ليفتدي بها زيدًا، وصَحِبَ معه أخاه كعبًا، ولكن رسول الله ﷺ لم يأخذ مالًا ولا غيره، وقال لهما: «هل لكما فيما هو خير من الفداء؟»، قالَا: ما هو؟ قال: «نُخَيِّره، فــإن اختاركم فهو لكم بغيــر مــال، وإن اختارني فما أنــا والله بالــذي يرغب عمن يختاره»، فقــالا: أنصفت وبالغت في الإنصــاف، فاختار زيدٌ رســولَ الله ﷺ، فتعجَّب منه أبوه وعمه، وقــال أبوه: ويحك يا زيد، أتختار العبوديةَ على أبيــك وأمك؟! فقال: إني رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذي يفارقه أبدًا. فلما قال ذلك أخذه الرســول ﷺ بيده، وخرج إلى البيت الحرام، ووقف به بالحِجْر، وقال على ملأ من قريش: «يا معشــر قريش، اشهدوا أن هذا ابني، يرثني وأرثه»، فطابت عندئــذٍ نفسُ أبيه وعمه، وتركاه عند رســول الله ﷺ، وعادَا مطمئِنَّــيِ النفس مرتاحَيِ البال.

وظلَّ زيد رضي الله عنه يُعرَف بعد ذلك بزيد بن محمد، حتى جاء الإســلام وحــرَّم التبنِّي، ونــزل قــول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥]، فأصبح يُدعى زيد بن حارثة.

ولمــا بُعِث رســول الله ﷺ كان زيــد من الســابقين إلى الإسلام، وصار قائدًا لبعض بعوثه وسراياه، وكان ممن يخلُف الرسول ﷺ على المدينة في بعض الغزوات.

وفي السنة الثامنة من الهجرة النبويَّة خرج زيد بن حارثة ﵁ قائدًا للجيش الإسلامي إلى مؤتة، يقود جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وما إن وصل الجيش إلى معان حتى هبَّ هرقل ملك الروم على رأس مائة ألف مقاتل، وانضم إليه مائة ألف مقاتل من مشركي العرب، فثبت جيش المسلمين، وقاتَل قتالًا شديدًا، حتى قُتِل قائدهم زيد بن حارثة ﵁، فتولى قيادة الجيش بعده جعفر بن أبي طالب ﵁ فقُتِل، ثم تولى قيادة الجيش عبد الله بن رواحة ﵁ فقُتِل، فاختار المسلمون خالد بن الوليد ﵁ الذي انحاز بالجيش وأنقذه من الفناء[١]، وحزن رسول الله ﷺ لموت زيد ﵁ ورفاقه حزنًا شديدًا، وبكى لفقد حِبِّه زيد بكاءً شديدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٦).

لقمان

هو عبدٌ صالح آتاه الله الحكمة واشتهر بهـا، ولازَمَهُ لقـب (الحكيم)، وذكره الله تعالـى في كتابـه، وأطلـق اسـمـه على إحـدى سُوَرِهِ، وقـد عاصَر لقمـان نبـي الله داود عليه السلام، واشتهـر بالمواعـظ والحِكَم، وعـاش فـي بـلاد النوبة؛ السـودان.

وتعتبر وصاياه لابنه من أشـهر الوصايـا القرآنية، حيث جمعت أمهات الحِكَم، ومبادئ الإيمان، وخصائص العقيدة، وأصول الأخلاق والفضائل، وقدَّم لقمان نموذجًا عمليًا للآباء في تعاملهم مع أبنائهم، ونُصْحهم لهم، وذلك حين وعظ ابنه بهذه المواعظ، فأمر ابنه بأصل الدين وأساسـه وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجِب لتركه، وأمره ببرِّ الوالدَين، وبيَّن له السبب الموجِب لبرِّهما، وأمره بشكر الله وشكرهما، ثم احتـرز بأنَّ محـلَّ برِّهما وامتثـال أوامرهما ما لـم يأمرَا بمعصية، ومـع ذلك فلا يَعُقَّهمـا، بل يُحْسِـن إليهما، وأمره بمراقبة الله تعالى، وخوَّفه بالقدوم عليه يـوم القيامة، فإن الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلَّا أتى بها، ونهاه

عن التكبُّــر، وأمره بالتواضــع، ونهاه عن البَطَر[١] والأشــر[٢] والمرح[٣]، وأمره بالســكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك، وأمره بالأمر بالمعــروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وبالصبر اللَّذَيْن يسهُل بهما كلُّ أمر، فجمع في هذه المواعظ أصول الشــريعة، وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملــة، وأدب النفــس، فحقيق بمــن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا موصوفًا بها، وأُثِر عن لقمان حِكَم أخرى كثيرة، منها:

قوله لابنه: «أيْ بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها أناس كثير، فاجعل ســفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحَشْــوها الإيمان، وشراعها التوكُّل على الله تعالى، لعلك أن تنجو، ولا أراك ناجيًا»، وقولــه: «مَن كان له من نفســه واعظ كان له من الله ﷻ حافظ، ومن أنصــف الناس من نفســه زاده الله تعالى بذلك عــزًّا، والذل في طاعــة الله تعالــى أقرب مــن التعزُّز بالمعصيــة»، وقوله: «ضَــرْبُ الوالد لولده كالســماد للزرع»، وقوله: «يا بنــي، إياك والدَّين؛ فإنــه ذُلُّ النهار وَهَــمُّ الليل»، وقوله: «يا بُنَــيَّ، ارجُ الله ﷻ رجاءً لا يُجرِّئــك على معصيته

---

(١) البَطَر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.
(٢) الأَشَر: أشد درجات البَطَر والطغيان.
(٣) المَرَح: الكِبْر والفخر والخُيَلاء.

تعالى، وخَفِ الله سبحانه خوفًا لا يُؤْيِسك من رحمته تعالى شأنه»، وقوله: «مَن كَذب ذهب ماء وجهه، ومَن ساء خلُقُه كثُر غمُّه، ونَقْل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام مَن لا يفهم»، وقوله: «يا بُنَي حَملْتُ الجندل والحديد وكلَّ شيء ثقيل، فلم أحمل شيئًا هو أثقل من جار السوء، وذُقْت المُرار فلم أذُقْ شيئًا هو أَمَرُّ من الفقر، يا بني، لا تُرسِلْ رسولك جاهلًا، فإن لم تجد حكيمًا فكن رسولَ نفسك، يا بُنَي، إياك والكذب، فإنه شَهِيٌّ كلحم العصفور عما قليل يغلي صاحبه، يا بني، احضر الجنائز، ولا تحضر العرس؛ فإن الجنائز تُذَكِّرك الآخرة، والعرس يُشَهِّيك الدنيا، يا بني، لا تأكل شِبَعًا على شِبَع؛ فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله، يا بني، لا تكُن حُلوًا فتُبلَعَ، ولا تكن مُرًّا فتُلْفَظ»، وقوله لابنه: «لا يأكل طعامك إلَّا الأتقياء، وشاوِرْ في أمرك العلماء»، وقوله: «لا خير لك في أن تتعلمَ ما لم تَعْلَم ولَمَّا تعملْ بما قد علمتَ؛ فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبًا، فحمل حُزْمَة وذهب يحملها فعجَز عنها، فضم إليها أخرى»، وقوله: «يا بني، إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأَغْضِبْه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذَرْه»، وقوله: «لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا؛ تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء»، وقوله: «يا بني، أنْزِل نفسك من صاحبك منزلةَ مَن لا حاجة له بك ولا بدَّ لك منه، يا بنيَّ، كن كمن لا يبتغي مَحْمَدَة الناس، ولا يكسب ذَمَّهم، فنفسه منه

في عناء، والناس منه في راحة»، وقوله: «يا بني، جالِس العلماء وزاحِمْهم بركبتَيك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء»، وقوله لما سُئِل: ما بلغ بك ما نرى؟ أي: من الفضل، فقال: «صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وتَرْك ما لا يعْنيني»، وقوله: «يا بُني، ليكنْ أول ما تُفِيد من الدنيا بعد خليل صالح امرأةً صالحة»، وقوله: «يا بني، إن الناس قد تطاوَل عليهم ما يُوعَدون، وهم إلى الآخرة سراعًا يذهبون، وإنك قد استدبرتَ الدنيا منذ كنتَ، واستقبلتَ الآخرة، وإن دارًا تسير إليها أقرب إليك من دارٍ تخرج عنها»، وقوله: «ليس غنًى كصحة، ولا نعمة كطِيب نفْس»، وقوله: «يا بُنَيَّ، لا تجالِس الفُجَّار ولا تُماشِهم، اتَّقِ أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبَك معهم»، وقوله: «يا بني، جالِس العلماء ومَاشِهِم، عسى أن تنزل عليهم رحمة فتصيبك معهم»، وقوله لرجل ينظر إليه: «إن كنتَ تراني غليظَ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنتَ تراني أسود فقلبي أبيض»، وقوله: «إذا امتلأت المَعِدة نامت الفِكْرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»، وقوله: «يا بني، إنما مَثَل المرأة الصالحة كمثَل الدهن في الرأس؛ يُليِّن العروق، ويُحَسِّن الشَّعر، ومَثَلها كمثل التاج على رأس الملك، ومثلها كمثَل اللؤلؤ والجوهر لا يدري أحد ما قيمته، ومثَل المرأة السوء كمثل السَّيْل لا ينتهي حتى يبلغ منتهاه؛ إذا تكلمتْ

أسمعتْ، وإذا مشت أسرعت، وإذا قعدت رفعت، وإذا غضبت أسمعت، وكل داء يبرأ إلَّا داء امرأة السـوء»، وقوله: «يا بني، لأن تُساكِن الأُسْد والأَسْـوَد خير من أن تساكنها: تبكي وهي الظالمـة، وتحكم وهي الجائرة، وتنطق وهـي الجاهلة، وهي أفعى بلدغها»، وقوله: «يا بني، سَافِرْ بسيفك وخُفِّك وعمامتك وخبائك وسِقائك وخيوطك ومخرزك، وتَزوَّد معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومَـن معك، وكن لأصحابـك موافقًا إلَّا في معصية الله ﷻ»، وقوله: «يا بني، إذا سـافرتَ مـع قوم فأَكْثِر استشـارتهم في أمرك وأمورهم، وأكْثِر التبسُّـم في وجوههم، وكن كريمًا على زادك بينهم، فإذا دَعَوْك فأجِبْهم، وإذا استعانوا بك فأعِنْهم، واسـتعمِل طول الصمت وكثرة الصلاة، وسَخاء النفس بما معك من دابَّة أو ماء أو زاد، وإذا استشـهدوك على الحق فاشهَد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تَثَبَّتَ وتنظر، ولا تُجِب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مسـتعمِلٌ فكرتـك وحِكمتك في مشورته، فإنَّ مَن لم يمحض[1] النصيحة مَن استشارَه سَلَبَهُ الله رأيه، وإذا رأيت أصحابك يمشـون فامشِ معهـم، فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، واسـمع لمن هو أكبر منك سـنًّا، وإذا تحيَّرتم فـي الطريق فانزلوا، وإذا شـككتم فـي القصد فقِفُوا

(١) أي: يُخلِص ويَصْدُق في النصيحة.

وتآمَرُوا[1]، وإذا رأيتم شــخصًا واحدًا فلا تسألوه عن طريقكم، ولا تسترشدوه؛ فإن الشــخص الواحد في الفلاة مُريب، لعله يكون عين اللصــوص، أو يكون هو الشــيطان الذي حيَّركم، واحذروا الشــخصَين أيضًا، إلَّا أن تروا ما لا أرى؛ لأن العاقِل إذا أبصر بعينه شــيئًا عرف الحقَّ منه، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب»، وقولــه: «يا بني، إذا جاء وقت الصــلاة فلا تُؤَخِّرْها لشيء، صَلِّها واســتَرِحْ منها؛ فإنها دَيْن، وصَلِّ في جماعة ولو علــى رأس زُجٍّ، وإذا أردتم النزول فعليكــم من بقاع الأرض بأحســنها لونًا، وألينها تربة، وأكثرها عُشــبًا، وإذا نزلتَ فصلِّ ركعتيــن قبــل أن تجلــس، وإذا أردت قضاء حاجتــك فأبْعِد المذهــب فــي الأرض، وإذا ارتحلت فصلِّ ركعتيــن ثم وَدِّع الأرض التي حَلَلْتَ بها، وسلِّمْ على أهلها؛ فإن لكل بقعة أهلًا من الملائكة، وإن اســتطعت أن لا تأكل طعامًــا حتى تبتدئ فتتصدق منــه فافعل، وعليك بقــراءة كتــاب الله ـ لعله يعني الزبور ـ ما دمت راكبًا، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملًا عملًا، وعليك بالدعاء ما دمت خاليًا، وإياك والسيرَ في أول الليل إلى آخره، وإياك ورفع الصوت في مسيرك»، فهذه من حِكَم لقمان ووصاياه، وهي حِكَم جليلة، ووصايا عظيمة.

---

(١) أي: تشاوروا فيما بينكم.

عُزَيْر

هو عبدٌ صالح، وحَبرٌ كبير من أحبـار اليهود الذين كانوا في الأَسْر البابلي، واسمه في العبرانية (عِزْرا) بن (سرايا)، من سِـبْط اللاوييـن[1]، كان حافظًا للتـوراة، وقـد تفضَّل عليه (كورش) ملك فـارس فأطلقه من الأَسْـر، وأطلـق معه بني إسرائيل الذين كانوا أسـرى في بابل، وأَذِن لهم بالرجوع إلى بلادهم، وذلك في سـنة ٤٥١ قبل ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد مَرَّ عُزَيْر على بيت المقدس بعد أن خرَّبها بخت نصر وقتل أهلها وهي خاوية على عروشها ليس فيها أحد، فوقف مُتَفَكِّرًا فيما آل إليه أمرُها بعد العمارة العظيمة، وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وذلك لِمَا رأى من دثورها[2]، وشـدة خرابها، وبُعدها عن العَوْد إلى ما كانت عليه، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقد عمرت البلدة وتكامل ساكنوها، ورجع بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ بعد موته كان أول

---

(١) السِّبْط واحد الأسباط، وهم في أولاد إسـحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) أي: انمحاء أثرها.

شـــيء أحيا الله فيه عينيه؛ لينظر بهما إلى صنع الله فيه؛ كيف يُحْيِي بدنه، فلما استقلَّ سويًّا قال الله له، أي: بواسطة الـمَلَك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال عُزَيْر: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]، وذلك لأنه رأى الشـــمس باقيةً، فظنَّ أنها شمس ذلك اليوم، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]؛ قال الله: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وذلك لأنه كان معه فيما ذُكر عنب وتين وعصير، فوجده كما فقده، لم يتغيَّر منه شيء، لا العصير استحال، ولا التيـــن حمــض، ولا أَنْتَـــنَ، ولا العنب تعفَّـــن، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البقــرة: ٢٥٩] كيـــف يُحْيِيـــه الله ﷻ وأنـــت تنظـــر، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ودليلًا على المعاد، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقــرة: ٢٥٩] برفعها، فنُرَكِّب بعضها على بعض، ونُرَكِّب كلَّ عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا، وذلك كله بمرأى من عُزَيْر، فعند ذلك لما تَبَيَّنَ له هذا كلــه ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]، ثم دخل عُزَيْر القرية، وســأل أهلها: هل تعرفون عُزَيْرًا؟ قالوا: نعم نعرفه، وقد مات منذ مائة سنة. فقال لهم: أنا عُزَيْر. فأنكروا عليه ذلك، ثم جاءوا بعجوز معمَّرة، وســألوها عن أوصافــه، فوصفته لهم، فتأكَّدوا أنه عُزَيْــر، فأخذ يُعلِّمهم التوراة ويُجَدِّدها لهم، فبدأ الناس يُقْبِلون عليه وعلى هذا الدين

من جديد، وأحبوه حبًّا شديدًا وقدَّسوه وعظَّموه، وغَلَوْا فيه حتى وصل بهم الحال إلى أن قالوا عنه أنه ابن الله كما قالت النصارى في المسيح عليه السلام أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا، وكان زمن عُزَيْر فيما بين داود وسليمان عليهما السلام وبين زكريا ويحيى عليهما السلام.





ذو القرنين



هو ملكٌ من ملــوك الأرض، وعبد صالح مســلم، طاف الأرض يدعو إلى الإســلام ويقاتــل عليه من خالَفه، فنشــر الإســلام، وقمع الكفر وأهله، وأعان المظلوم، وأقام العدل، وكانت له رحلات مكلَّلــة بالانتصارات، وقــد أعطاه الله من الأسباب ما يســتعين بها على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمــران، وعمل بهــذه الأســباب، واجتهد في اســتثمارها وتطويرهــا، وهــي أســباب قوية كثيــرة داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم ذو عَــدَد وعُدَد ونظام، وبه تمكَّن من قهر الأعداء، ومن تســهيل الوصول إلى مشــارق الأرض ومغاربها، فكان قائدًا ظافرًا، وحاكمًا عادلًا، وسلطانًا قويًّا، وعبدًا شكورًا، نشر العدالة في ربوع الأرض، وبلَّغ دعوة الحق، وصحَّح المفاهيم، وأقام موازين القســط، ونشر القِيَم الأصيلة، ودعا إلى الأخلاق الفاضلة، فرضي الله عنه ورحمه، وقــد اختلف العلماء فــي تحديد شــخصية ذي القرنين على أقوال، أشهرها:

الأول: أنه ملك صالح كان في زمن إبراهيم عليه السلام.

الثاني: أنه الإسكندر المقدوني، وهذا قول باطل، فقد كان هذا الإسكندر كافرًا مشركًا بالله، من عبدة آلهة اليونان، وكان مســرفًا في الفواحش، ومعاقــرًا للخمور، فكيــف يكون هذا الإكسندر هو ذو القرنين الذي وصفه القرآن بأنه مؤمن صالح عادل!

الثالث: أنه ملك عربي من ملوك حِمْيَر، واســمه الصعب ذو مراثد بن الحارث بن الرائش.

الرابع: أنه الملك الفارسي (كورش) الذي وحَّد مملكتَيْ (لِيدْيا) و(مِيدْيا)، وجمع بينهما، وحكم ثلاثين ســنة، ما بين ٥٢٩ إلى ٥٥٩ قبل الميلاد، وهو الأقرب.

واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين على أقوال، منها:

ـ أنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكأنه حاز قرنَيِ الدنيا.

ـ أنه كان له ضفيرتان من شــعر هما قرناه؛ فسُمِّي بذلك، وهو الأقرب.

ـ أنه ملك الروم وفارس.

ـ أنه كان له تاجٌ ذو قرنين.

وذُكِرَتْ رحلاته الثلاث في سورة الكهف، حيث سار هذا الملك الصالح في رحلته الأولى بجيشه إلى مغرب الشمس،

فوجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عندها قومًا، فقيل له: يا ذا القرنين إما أن تُعَذِّبهم بالقتل أو غيره إن لم يُقِرُّوا بتوحيد الله، وإما أن تُحْسِن إليهم فتُعَلِّمهم الهدى وتُبَصِّرهم الرشاد. فقال ذو القرنين: أما مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه فسوف نُعَذِّبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم، وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووَحَّدَه وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله، وسنُحْسِن إليه، ونُلِين له في القول، ونُيَسِّر له المعاملة.

ثم سار ذو القرنين في رحلته الثانية إلى مطلع الشمس فوجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يُظِلُّهم من الشمس.

ثم سار في رحلته الثالثة والأخيرة في طريق ثالث معترض بين المشرق والمغرب حتى بلغ ما بين الجبلَين الحاجزَين لما وراءهما، فوجد من دونهما قومًا لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.

فقالوا: يا ذا القرنين، إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالًا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يَحُول بيننا وبينهم؟

فقال لهم ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي من مالكم، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًّا، أعطوني قِطَع الحديد، فلما جاؤوا به ووضعوه وحاذَوْا به جانِبَيِ الجبلَين قــال للعمــال: أَجِّجُوا النار، حتــى إذا صار الحديد كله نارًا قال ذو القرنين: أعطوني نحاسًــا أُفرغه عليه، فلما أفرغه ما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، ولا قدروا على نقبه من أسفله؛ لبُعْد عرضه وقوته، وحينها قــال ذو القرنين: هذا الــذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمةٌ من ربي بالناس، فإذا شارَف يوم القيامــة أن يأتي خرج يأجــوج ومأجوج، وجعلوا هذا الســد منهدمًا مســتويًا بالأرض، وكان وَعْدُ ربــي حقًّا، وقد وصف القرآن العظيم سدَّ ذي القرنين العظيم بأوصاف ثلاث:

الأول: أنه سدٌّ أُقِيم بين جبلَين متقابلَين.

الثاني: أن تكوينه من الحديد الـمُطَعَّم بالنحاس الـمُذاب.

الثالث: أن الغاية من إقامتــه حماية مَن دونه من هجمات يأجوج ومأجوج.

ولعل أقرب الأقوال في موقع السد الذي بناه ذو القرنين هو الســد المقام على مضيق داريال في جبــال القوقاز؛ فإن سلســلة جبال القوقاز تمتد من بحر قزوين شــرقًا إلى البحر الأســود غربًا بطول ألف ومائتي كيلومتر، ولا يوجد ممرٌّ بين

السلسلة الشاهقة سوى ممر ضيق يسمى مضيق (داريال)، ولا يزيد عرض هذا المضيق عن مائة متر تقريبًا، وفي هذا المضيق حاجز حديدي تنطبق عليه جميع أوصاف سـد ذي القرنين، وهو يقع الآن في جمهورية جورجيا، والله تعالى أعلم.

مؤمن آل فرعون

هو رجل قبطيٌّ من آل فرعون، ومن السابقين إلى الإيمان بموسى عليه السلام، وكان يكتُم إيمانه، وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى مُحَذِّرًا موسى عليه السلام من مؤامرة قتله، ونصح له أن يخرج من مصر في الحال، ففعل، فلما عاد موسى عليه السلام إلى مصر، وعرض فرعون على أهل مجلسه قَتْلَ نبي الله موسى عليه السلام خاف هذا المؤمن على موسى عليه السلام، فتلطَّف في الرد على فرعون بكلام جمع فيه بين الترغيب والترهيب، فقال على وجه المشورة والرأي والنُّصح لقومه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، فمثل هذا لا يقابَل بهذا، بل يقابَل بالإكرام والاحترام والموادعة، وتَـرْك الانتقام، ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، فإن وادعتموه كنتم في سلامة، فإن كان كاذبًا لم يضرّكم كذبه، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ [غافر: ٢٨] وقد تعرَّضتم له ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، فكيف بكم إن حَلَّ جميعه عليكم، ثم أخذ يحذِّرهم ويقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]، فما تعرض قومٌ لرسول

من الرسل الكرام عليهم السلام إلَّا سُلِبُوا ملكهم، وذلُّوا بعد عزَّة، لكنَّ فرعون أصرَّ على كفره وعنـــاده فأجابه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فالقول قولي، والهداية هدايتي. وقد كـــذب، فلما وقع الهلاك والغـــرق على فرعون وجنـــوده نجَّى الله تعالـــى هذا المؤمـــن القبطـــي حين نجَّى موسى عليه السلام وبني إسرائيل.

طالـوت

هو ملك من ملوك بني إســرائيل، كان من عامة الشعب، وليس من بيت الـمُلك، فلما تسلَّط الأعداء على بني إسرائيل وقهروهم وأذلوهم، وأخرجوهم من ديارهم، أرادوا أن يُغَيِّروا ما هم في من ذلَّة وهزيمة وصَغار، فأظهروا لنبيٍّ لهم رغبتَهم في الجهاد في سبيل الله، وأن الذي ينقصهم هو الـمَلِك الذي يقودهم في المعــارك، وطلبوا من نبيهم أن يختــار لهم مَلِكًا لهذه الغاية، فأخبرهم نبيهم بأن الله قد بعث لهم طالوت ملكًا، فاعترضوا عليه قائلين: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقــرة: ٢٤٧]، وقد كان طالوت فلاحًا من بيت فقير، فبيَّن لهم نبيهم أن الله تعالى هو الذي اختاره لهم واصطفاه عليهم، وأنه زاده بســطةً في العلم والجسم، فهو أكثر منهم علمًا، وأقوى منهم جسمًا، وذكر لهم نبيهم أن ﴿ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فلما أتتهم الملائكة بالتابوت أقرُّوا له بالـمُلْك على كُرْهٍ منهم، فســار طالوت بجيشه لقتال جالوت

ومَن معه، ومرَّ في طريقه بنهر، فنهى جنوده عن الشـرب منه حتى الارتواء، وأذِن لكل واحد منهم أن يغترف منه غرفة بيده، فخالَف أكثرهم نَهْيَه وشربوا منه، إلَّا قليلٌ منهم، ولم يَبْقَ معه بعد هذه الحادثة إلَّا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا مجاهدًا، فلما رأى مَن معه جيشَ طالوت وما جمع لهم مـن الجند والعتاد صاحـوا قائليـن: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فأجابهم أهـلُ الإيمان والثبات: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فحاربوا جموع الكافرين بقيادة جالوت، وسـألوا النصـر قائليـن: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقـرة: ٢٥٠]، فتمكَّـن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان جنديًّا فـي جيش طالوت مـن قَتْل جالوت قائدهم، وكان جالوت ملك العمالقة وسـيِّدُهم طويلًا مُسَلَّحًا مدرَّعًا لا يسـتطيع أن يبارزه أحد من بني إسـرائيل، فكان إذا خرج للصف عرض عليهم مبارزته وعَيَّرَهم بجُبْنهم.

وبِقَتْل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ له انكسـرت شـوكة العمالقة وانهزموا، ونصر الله هذه الفئة المؤمنة، ومكَّن الله تعالى لبني إسرائيل في الأرض إلـى حين بعـد تشـريدهم وإخراجهم مـن ديارهم وأبنائهم، وأصبح داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما بعد ملكًا ونبيًّا عليهم.

تُبَّــع

تُبَّع اليماني، هو أحد أعظم ملوك اليمن الحِمْيَرِيِّين، وقد ســـار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه، وعَظُم سلطانه وجيشه، واتَّسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه، وهو الذي مَصَّرَ الحيـــرة[1]، ومَرَّ بالمدينة النبويَّـــة، وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانَعوه وقاتَلــوه بالنهار، وجعلوا يُقْرُونه[2] بالليل، فاستحيا منهم، وكفَّ عنهم، واستصحب معه حَبْرَيْن من أحبار اليهود كانَا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مُهاجَرُ نبيٍّ يكون في آخر الزمان، فرجع عنها، وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هَدْمَ الكعبة فنَهَيَاه عن ذلك أيضًا، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناية إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظَّمها وطاف بها، ونحـــر عندهـــا ســـتة آلاف بدنـــة، ثـــم كســـاها الـمُـــلَاء[3]

(١) أي: جعلها مدينة ولها حدود معروفة.

(٢) أي: يُضيفونه ويُحسنون إليه.

(٣) المُلاء: مفردها مُلاءة، وهي ثياب كالملحفة.

والوصائل[١] والحَبِير[٢]، ثم كَـرَّ راجعًا إلى اليمن، ودعا أهلها إلى التهوُّد معه، وكان إذ ذاك دين موسى عليه السلام، فتهوَّد معه عامة أهل اليمن، وتوفي تُبَّع قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو سبعمائة عام، وقد كان تُبَّع مشركًا ثم أسلم، وكان يعبد الله على شريعة موسى عليه السلام، وقد توقَّف نبينا ﷺ في شأنه في بادئ الأمر؛ هل كان تُبَّعٌ رجلًا صالحًا أم لا؟[٣] ثم بعد ذلك نزل عليه الوحي بأنه كان رجلًا صالحًا، فنهانا عن سَـبِّه فقال ﷺ: «**لَا تَسُـبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ**»[٤].

---

(١) الوصائل: ثياب حمراء مخططة تأتي من اليمن.

(٢) الحَبِير: الثياب الناعمة المخططة، وهي من أفضل الثياب.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، والحاكم (١٠٤)، لفظ الحاكم: «ما أدري تُبَّع أنبيًا كان أم لا».

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨٨٠).

أصحـاب الكهـف

هم فتيةٌ سـبعة صالحون كانوا على دين عيسى عليه السلام فَرُّوا بدينهم، واعتزلوا قومهم الوثنييـن، وخرجوا من المدينة إلى الجبال، وقَرَّروا أن يأووا إلى كهف في جبلٍ بابُه نحو الشمال، وطلبوا مـن الله أن ينشـر عليهم فـي الكهف مـن رحمته، واستجاب الله لهم، فكانت رحمة الله عليهم في الكهف، حيث يَسَّـرَ الله لهم الأمر، وسَـخَّر لهم الآيات، فأمر الشـمس أن لا تَمَسَّ أجسادهم حتى لا تؤذيها، فكانت عند الصباح تميل عن أجسادهم، فلا تقع عليها، وكانت عند الغروب تميل عنها كذلك، فلا تأتيها، وكانوا في فجوة وسط الكهف، ومن آيات الله أن عيونهم كانـت مفتوحة، فكان الناظر إليهم يحسـبهم أيقاظًا ينظرون إليه، مـع أنهم نِيامٌ راقـدون، وحتى لا تأكل الأرض أجسادهم كان الله تعالى يُقلِّبهم مرة على اليمين، ومرة على الشـمال، وكان معهم كلبهم الذي صَحِبَهُم، حيث جلس على عتبـة باب الكهف، وبسـط ذراعَيه، ونـام مثل نومهم، وحتى لا يعتدي أحـد عليهم وهم رقود قـذف الله تعالى في قلب كلِّ مَن ينظر إليهم الرعب، بحيث لو اطلَّع عليهم لولَّى

منهم فِرارًا، ولَمُلِئَ منهم رعبًا، وناموا نومتهم الطويلة، حيث بقوا على هذه الهيئة ثلاثمائة وتسع سنوات، وبعد هذه المدة بعثهم الله من نومهم، فصاروا يتساءلون عن مدة نومهم، واختلفوا في تقديرها، فقال بعضهم: نِمْتُم يومًا أو بعض يوم! لكنهم لم يخوضوا في تقدير المدة؛ لعدم علمهم بها، ففوَّضوا العلم بها إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، ثم كَلَّفُوا أحدهم بالذهاب إلى المدينة، وناوَلوه ما معهم من نقود، وكَلَّفُوه أن يشتري لهم طعامًا ليأكلوه، وطلبوا منه أن يختار الطعام الطيب الحلال، كما طلبوا منه أن يكون حَذِرًا يَقِظًا منتبهًا، حتى لا يفطن أحد إليه، ولا يشعر أحدٌ به؛ لأنهم كانوا يَخْشَوْن قومهم، فإذا علموا بهم وعرفوا مكانهم فسوف يقتلونهم، أو يفتنونهم بأن يَرُدُّوهم عن دينهم، ويُعِيدُوهم إلى الشرك، فذهب هذا الرجل إلى المدينة ليشتري الطعام، وحرص على الحذر والانتباه والتخفِّي، لكن الله أراد أمرًا آخر، فقد أراد أن يجعل منهم آية عليه، ودليلًا على قدرته على البعث، فكشف أمرهم، وأَعْثَر عليهم قومَهم، وكان القوم مؤمنين بالله؛ إذ زال ذلك الجيل الكافر الذي هرب الفتيةُ منه إلى كهفهم، ونشأ جيل مؤمن بالله، فلما رأى أهلُ القرية المؤمنون ذلك الرجل المؤمن لحقوا به إلى الكهف، فلما وصلوا الكهف وجدوا الرجال المؤمنين السبعة قد ماتوا موتًا

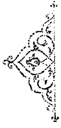
حقيقيًا هذه المرة، فاختلفوا فيهم، وتنازَعوا بينهم أمرهم؛ ماذا يفعلون بهم؟ فمنهم من قال: ابنوا عليهـم بنيانًا، ربهم أعلم بهم.

ولكن الحاكميـن فيهم قـرَّروا أن يبنوا عليهم مسـجدًا للعبـادة، تكريمًا لهم وتذكيـرًا بمكانهم، وهكـذا كان، وفي قصتهم مَظْهَـرٌ من مظاهر قـدرة الله، وإرادتـه النافذة، وقوته الغالبة القاهرة، وحكمته ورحمته وتدبيره سبحانه، وفيها دليل أيضًا على أن مَن فَرَّ بدينه من الفتن سَـلَّمَه الله منها، وأن مَن حرص على العافيـة عافـاه الله، ومن أوى إلـى الله آواه الله، وجعلـه هداية لغيـره، ومَن تَحَمَّـل الذل في سـبيله وابتغاءَ مرضاتـه، كان آخـر أمـره وعاقبته العـز العظيـم من حيث لا يحتسب.





أصحاب الأعراف



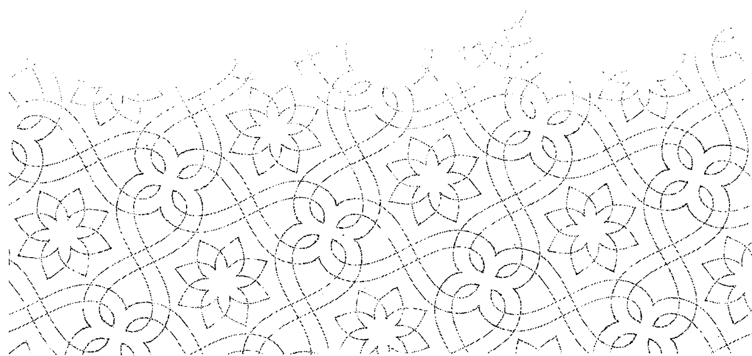
هم قوم على مكانٍ بين الجنة والنار يسمَّى «الأعراف»، وهو سور عالٍ يَطَّلِع منه أصحابه على أهل الجنة وعلى أهل النَّار، وهم قوم تساوَتْ حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم المساوية من دخول النار، وسيئاتهم المساوية من دخول الجنة، فهؤلاء هم أصحاب الأعراف، لم يفضل لأحدهم حسنة يستحق بها الرحمة من ربه، ولم يفضل عليه سيئة يستحق بها العذاب، فإذا أشرفوا على أهل الجنة نادَوْهم بالسلام، وطمعوا في الدخول إليها، وإذا أشرفوا على أهل النار سألوا الله ألَّا يجعلهم معهم، ثم نظروا إلى الجنة فرأوا من الضعفاء الذين كان الكفار يسترذلونهم ويحتقرنهم في الدنيا، ويزعمون أن الله لا يختصهم دونهم بفضله كما لم يختصهم دونهم في الدنيا، فيقول لهم أهل الأعراف: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ [الأعراف: ٤٩] أيها المشركون أن الله تعالى لا ينالهم برحمة؟ فها هم في الجنة يتمتعون ويتنعمون، وفي رياضها يُحْبَرُون[1]، ثم يقال لأهل الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

---

(١) أي: يُسَرُّون.

أعلام

المجرمين



إبليس

هو أول كافر بالله تعالى، أبو الشـياطين، وقائدهم إلى نار جهنم، وخطيبهم فيها، خلقه الله من نار قبل آدم عليه السلام، وكان مع الملائكة يُجالسـهم ويتعبَّد معهم، وليس من جنسـهم، فأقام بينهم إقامة ارتياض[١]، وتخلُّق، وسُخِّر لاتِّباع سُنَّتهم، فجرى على ذلك السَّـنَن أمدًا طويلًا لا يعلمه إلَّا الله، ثم ظهر ما في نوعه من الخبث، فأمره الله بالسـجود لآدم عليه السلام مع الملائكة، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، فظهرت حينئذٍ عداوته لله ولآدم، وكفره واسـتكباره، فحكـم الله تعالى عليه باللعـن والرجم والطرد من رحمته وجنته، ثم طلب إبليـس من الله تعالى أن يُبْقِيَه حيًّا إلى يوم البعث، فأخبره الله تعالى أنه سيبقى حيًّا إلى يوم الوقت المعلوم، وهو الوقت الذي قدَّره الله لإنهاء حياته، وأقسـم إبليس بإغواء آدم عليه السلام وذريته، فوسـوس لآدم عليه السلام وحواء بعد إدخالهما الجنة، وحملهما على الأكل من الشجرة،

(١) أي: ترويض وتذليل لتستقيم أخلاقه مثل أخلاق الملائكة.

فأهبطه الله معهما إلـــى الأرض، وهو من أطــول المخلوقين عُمرًا؛ فقد كان موجودًا قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، وســـيبقى حيًّا حتى قرب قيام الساعة، وســـمَّاه الله إبليسًا؛ إعلامًا له بأنه قد أَبْلَس[١] من رحمة الله، ووصفه الله بأنه شـــيطان؛ لأنه ابتعد عن رحمته، وأَبْعَدَ في معصيته.

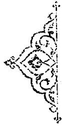


---

(١) أي: يئس.



النمرود



هو النمرود بن كنعان ملك بابل، وأحد أعظم ملوك الدنيا؛ حيث ملك شرقها وغربها، وكان قد طغى وبغى، وتجبَّر وعتا، دعاه إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فحمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق عز وجل، وألقى إبراهيم الخليل عليه السلام في النار، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، فحاجَّه إبراهيم الخليل في صدق دعوته، فادَّعى النمرود لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال النمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فكان يُؤتى إليه برجلَين يستحقان القتل، فيعفو عن الأول ويقول: أحييتُه، ويقتل الآخر ويقول: أَمَتُّهُ[1]، فيزعم أن هذا معنى إحيائه وإماتته، وهذه مكابرة منه وتلبيس على الناس، فليس هذا هو المقصود، فانتقل معه إبراهيم عليه السلام إلى حُجَّة أوضح للناس وأَبْيَن لهم، فقال له عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فبُهِتَ[2]

---

(١) أخرجه الطبري ٤/ ٥٧١ عن قتادة قال: وَذُكِرَ لنا أنه دعا برَجُلَين.

(٢) بهت، أي: حَارَ ولم يَدْرِ ما يقول.

حينئذٍ، واتَّضح للناس بطلان كَيْده، وأنه ضعيف مخلوق مربوب، لا يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب بدلًا من المشرق، فبَانَ ضلاله ومكابرته، وصحة ما قاله إبراهيم عليه السلام.

ولما أصرَّ على كفره وعناده أهلكه الله بأحقر مخلوقاته جزاءً وِفاقًا؛ حيث دخلت بعوضة في مِنْخَره فمكثت فيه أربعمائة سنة، فكان لا ينام حتى يُضْرَب رأسُه بالمرازِب[1] في هذه المدة كلها حتى هلك بعد أن ذاق من عذاب الدنيا ما ذاق، فويلٌ له، ثم ويلٌ له من عذاب الآخرة.



(١) المَرازِب: جمع مِرْزَبَة، وهي: العصا من الحديد، ويقال لها: الإرْزَبّة بالهمز والتشديد.



آزر



هو أبو إبراهيم الخليل عليه السلام، كان كافرًا بالله، يَتَّخذ الأصنام آلهة من دون الله، ولما بعث الله إبراهيم عليه السلام نبيًا أنكر ذلك على أبيه، ودعاه إلى الإيمان بالله، وقام بواجبه تجاهه، ورفض آزرُ دعوة ابنه، ولم يُجِبْه، وهدَّدَه بالرجم، فوعد إبراهيم عليه السلام أباه آزر أن يستغفر له ربَّه؛ طمعًا في إيمانه، فلما رأى الخليل عليه السلام إصرارَه على الكفر تبرَّأ منه، وبَقِي آزر كافرًا مشركًا حتى مات، وأخبرنا رسول الله ﷺ عما سيكون بين الابن والأب يوم القيامة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يلقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قَتْرةٌ وغَبْرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصِني؟ فيقول له أبوه: اليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أنْ لا تُخزني يوم يُبْعَثون، وأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرَّمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم، انظر ما بين رجلَيْك، فينظر، فإذا هو بذيخٍ[1] متلطِّخ، فيؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار**»، الحديث،

---

(١) الذِّيخ: الذَّكَر من الضباع الكثير الشعر.

فالله ﷻ سيمســخُ آزر يوم القيامــة إلى ضبعٍ مُنْتــنٍ، متلطِّخ بأوساخه، فيؤخذ بقوائمه، ويُلْقَى في جهنم على هذه الصورة، ولا يُلقى في النار على صورته البشــرية كباقي الكفار، إكرامًا لإبراهيم الخليل عليه السلام.





أصحاب الأيكة



هم جماعةٌ كانوا يسكنون في بساتين كثيرة وأشجار، فنُسِبوا إليها، والأيكة: هي الغَيْضة من الأشجار الملتفَّة بعضها ببعض، وأصحاب الأيكة قيل: إنهم أصحاب مَدْيَن، وقيل: إنهم فريق من قوم شُعَيْب عليه السلام غير أهل مَدْيَن، فأهل مَدْيَن هم سكان الحاضرة، وأصحاب الأيكة هم سكان البادية، وكان شُعيب عليه السلام رسولًا إليهم جميعًا، وكان أصحاب الأيكة قومًا من العرب، يسكنون في الحجاز مما يلي جهة الشام، قريبًا من خليج العقبة من الجهة الشمالية منه، فدعاهم نبي الله شعيب عليه السلام إلى التوحيد، وتَرْك ظلم الناس، ولكن أصحاب الأيكة استمروا على ظُلْمهم في حق الخالق، وفي حق الخلق، وكذَّبوا نبيهم عليه السلام، فانتقم الله منهم فأُهْلِكوا بعذاب يوم الظُّلَّة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بعدهم في الزمان، ومُسامِتِين[1] لهم في المكان.

---

(١) أي: مقابلين ومواجهين لهم.

أصحاب الرَّسِّ

هم قـوم كانوا يعبـدون شـجرة صَنَوْبر يقال لها: (شـاه درخت)، كان يافث بن نوح غرسـها بعد الطوفان على حافة عين يقال لها: (روشن آب)، وكان لهم اثنتا عشرة قرية معمورة على شـاطئ نهر يقال له: «الرَّسّ»، وقد غرسـوا في كل قرية منها من طَلْع تلك الصنوبرة حبـةً أَجْرَوْا عليها نهرًا من العين التي عنـد الصنوبـرة، وحرَّموا شُـرْب مائها على أنفسـهم وأنعامهم، ومَن شـرب منه قتلوه، ويقولون: إنه حياة الآلهة، فلا ينبغي لأحد أن ينقص حياتها، وقد جعلوا في كل شهر من السـنة يومًا يحتفلون به فـي كل قرية، وجعلوه عيـدًا لهم، فيخرجون فيه إلى الصنوبرة التي كانت خارج القرية، ويُقَرِّبون إليها القرابين، ويذبحـون لها الذبائح، ثـم يحرقونها بالنار، ويسـجدون للشـجرة عند ارتفاع دخان النار وسـطوعه في السماء، ويبكون ويتضرَّعون، وكان هذا دأبهم في القرى.

حتى إذا كان يوم عيد قريتهم العظمى التي كان يسـكنها ملكهم، واسمها (أسـفندار)، اجتمع إليها أهل القرى جميعًا، وعَيَّدُوا اثنَيْ عشـر يومًا، وجـاءوا بأكثر ما يسـتطيعونه من

القرابين والعبادات للشجرة، ولما طال منهم الكفر بالله وعبادة الأشجار بعث الله تعالى إليهم رسولًا من بني إسرائيل من ولد يهودا، فدعاهم إلى عبادة الله وتَرْك الشرك، فلم يؤمنوا به، بل كذَّبوه، فدعا على الشجرة فيبست، فلما رأوا ذلك ساءهم هذا، فقال بعضهم: إن هذا الرجل سحر آلهتنا، وقال آخرون: إن آلهتنا غضبت علينا بذلك لما رأت هذا الرجل يدعونا إلى الكفر بها فتركناه وشأنه من غير أن نغضب لآلهتنا، فاجتمعت آراؤهم على قتله، فحفروا بئرًا عميقًا وألقوه فيها، وسَدُّوا فُوَّهَتَها، فلم يزالوا عليها يسمعون أنينه حتى مات، فأتبعهم الله ﷻ بعذابٍ شديدٍ أهلكهم عن آخرهم.

أصحاب القرية

هم أهل مدينة أنطاكية، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثة من الرسل، وهم: صادق، وصدوق، وشلوم، فقالوا لأهل تلك القرية: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له، فقال أهل القرية: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس: ١٥] فكيف أُوحِي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لم يُوحَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، فقال لهم رسلهم: الله يعلم أنَّا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبَةً عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيُعِزُّنا وينصرنا عليكم، وإنما علينا أن نبلِّغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أجبتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تُجيبوا فستعلمون مَغَبَّة فعلتكم، فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس: ١٨]، فقالت لهم رسلهم: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ٩] مردود عليكم، أَمِنْ أجل أنَّا ذَكَّرْنَاكم وأمرناكم بتوحيد

الله وإخلاص العبادة لـــه قابلتمونا بهذا الـــكلام، وتَوَعَّدْتُمونا وتَهَدَّدْتُمونا؟ بل أنتم قوم مُسْرِفُون[(١)].

فهَمَّ أهل القرية بقَتْل رســـلهم، فجاءهـــم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه يقال له: حبيب النجار، وكان رجلًا سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدَّق بنصف كَسْـــبِه، مســـتقيم النظرة، فأخذ يَحُضُّ قومه على اتباع الرســـل، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا﴾ [يس: ٢٠، ٢١] على إبلاغ الرسالة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يـــس: ٢٠]، ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، فإن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يملكون من الأمر شـــيئًا، فإن اتخذتموها آلهة من دون الله ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يـــس: ٢٤]، ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] فاشهدوا لي بذلك أيها الرسل عند الله ﷻ.

فلما قال ذلك لهم وثب عليه أهل القرية وثبةَ رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنعه منهم، فلما قتلوه رَحِمَهُ اللَّهُ وجبت له الجنة، وتمنَّى على الله أن يعلم قومه ما عايَنَ من كرامة الله

---

(١) أي: مجاوزون للحدِّ في الطغيان.

له، ثم انتقم الله تعالى من قومه بعد قَتْلِهم إيَّاه غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كَذَّبوا رسله الثلاثة، وقتلوا وَلِيَّه، فما كانت ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] قـد تقطَّعت بها قلوبهم في أجوافهم، وانزعجـوا لتلك الصيحة الواحـدة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك.



فرعون

هو الملك الطاغية الجبار الذي حكم مصر في زمن موسى عليه السلام، وأذَلَّ بني إسرائيل أيَّمَا إذلال، واستعبدهم واسترهبهم، وذبح أبناءهم واستحيى نساءهم؛ لأنه رأى في يوم من الأيام في منامه كأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دُورَ مصر وجميع القبط، ولم تَضُرَّ بني إسرائيل، فلما استيقظ هالَه ذلك، فجمع الكهنة والمنجِّمين والسحرة، وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يُولَد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يَدَيْه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وتَرْك النساء، واستعلى واستكبر، وقال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

واحترز فرعون كل الاحتراز من أن يُولَد موسى عليه السلام، فمن شِدّة احترازه أنه جعل رجالًا وقوابل يدورون على النساء الحوامل، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تَلِدُ امرأة ذكرًا إلَّا ذَبَحَهُ أولئك القتلة من ساعته، فمكر الله به، وجعله يُرَبِّي عَدُوَّه في قصره، وعلى سرير زوجته، مع أنه سعى في قتله، فلما

شبَّ موسى عليه السلام في قصر فرعون قتل أحد الأقباط وفرَّ هاربًا إلى مديـن، ولما عاد إلى مصـر كلَّمه الله عنـد جبل الطور، وجعله نبيًّا رسـولًا، وأمره أن يذهب إلى فرعـون، وآتاه الله الآيات البيِّنات، وجعل معه أخاه هـارون نبيًّا ووزيرًا، والتقى موسـى بفرعون، ودعاه إلى الله، وطلب منه أن يرفع العذاب عن بني إسـرائيل، وأن يسـمح لهم بالخروج معه من مصر، وأراه آيات العصـا واليد الدالَّة على أنه مُرْسَـلٌ من الله تبارك وتعالى، فكذَّبه فرعون، وجمع سـحرته من مختلف المدائن ليهزموه، ووقع التحدي بين موسـى والسحرة في يوم الزينة، والناس مجتمعون ضُحًى، فألقى السـحرةُ حبالهم وعِصِيَّهم، وألقى موسى عليه السلام عصاه، فلَقَفَتْ[١] ما يأفكون، وأُلْقِي السحرة سُـجَّدًا، وقالـوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعـراف: ١٢١، ١٢٢]، فبطـش بهم فرعون وقتلهم، واسـتمرَّ في طغيانه وجبروته، فلما أَصَرَّ واسـتكبر دعا موسـى عليه السلام على فرعـون وملئه بأن يطمـس الله علـى قلوبهم، ويَشْـدُد على أموالهم، وهارون يُؤَمِّن من ورائه، فاستجاب الله لهما، وأمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر ليلًا، ففعل، فتوجَّهوا نحو المشـرق، وسـار فرعون وجنوده على إثرهم، فأمر الله موسـى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، ففتح الله لهم طريقًا في

---

(١) أي: التقمت.

البحر يَبَسًا، ودخله بنو إسرائيل، وخرجوا منه سالمين بفضل من الله إلى الضفة الشرقية للبحر، ورأى فرعون الطريق اليَبَس وسط البحر، فأمر جنوده أن يدخلوه ليلحقوا ببني إسرائيل، ودخلوا جميعًا فيه، فلما اكتمل جَمْعُهم في البحر أطبق الله عليهم البحر، فغرق الجميع، ولما أبصر فرعون نفسه غريقًا في الماء لا محالة قد جُرِّد من قوته وسلطانه، وأصبح ضعيفًا عاجزًا، يصارع الموت وحيدًا، أعلن إيمانه قائلًا: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان، وجعل الله هلاكه عبرةً لكل جبار عنيد مفسد، وكان هلاكه مع جنوده في يوم عاشوراء من شهر الله المحرَّم.

هـامـان

هو وزير فرعون مصر، ورجل الدولة الأول بعده، وأَصله من خراســان من قرية يقال لها: بوشــنج، وكان قد قرأ كتب المتقدِّميــن، وكان له اليد الطُّولى في حســاب النُّجوم، وكان يســتدل من طالَعِه على مُجْمَل أحواله وأحوال فرعون، فاتفقا وسافرَا جميعًا من خرســان إلى أن بلغ أمرُهما ما بلغ، وكان مستشارًا لفرعون ومنفذًا لأوامره، وأشــرف على بناء الصرح العالي الذي أمر فرعون ببنائه ليَطَّلِــع بزعمه وحُمْقِه على إلٰه موســى عليه السلام، وكان هامان مشــاركًا لفرعون في جرائمه ضد المستضعفين من بني إســرائيل، وقد جاء ذكره في القرآن في ستة مواضع، وكانت نهايته الغرق في البحر الأحمر مع فرعون وجنوده.



قــارون



هو رجل من قوم موســى عليه السلام بغى عليهم، وكفر برسالة موسى عليه السلام، وساعَد فرعون وأعانه على موسى ومن معه، وقد كان أغنى النــاس، وأكثرهم أموالًا وكنــوزًا، حتى إن مفاتيح كنوزه تنوء بالعصبة أُولي القوة، وجعل قارون هذه الأموال في حرب الإيمان ونصــرة الكفر، فنصــح له العقــلاء من قومه بالقصد والاعتدال، وحَذَّرُوه من الفــرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نســيان المنعم، وحَثُّوه بــأن يعمل بهذا المــال لآخرته، وحَذَّرُوه من الفساد في الأرض بالبغي والظلم، وإنفاق المال في غير وجهه، فلم يســتمع لنداء الناصحيــن من قومه، ولم يشــكر نعمة ربه، وفَتَنَهُ المال، وأعماه الثراء الفاحش، واغترَّ بنفسه، واعتبر أن أمواله وكنوزه من ثمرة جهده وعلمه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وذات يوم خرج قارون على قومه في كامل زينته، فطاشت قلوب بعض المفتونين بزخرف الدنيا الفانية، وتمنَّوْا أن لديهم مثل ما أُوتي قارون من الأموال والكنوز والخدم والحاشــية، وأحسُّــوا بأنه في نعمة عظيمة، فــرَدَّ العالِمــون على هؤلاء

المفتونيـــن قائليـــن: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

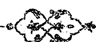
وبينما كان قـارون في كامل زينته وقمـة طغيانه وعظمة موكبه حَطَّم الله غروره، وكفى المؤمنين شروره، فأمر سبحانه الأرض أن تبتلعـه وتبتلـع داره وكنـوزه، ورأى المفتونـون بالأمس ما حلَّ به وبكنوزه، فحمدوا الله وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

السامري

هو رجل ضالٌّ مُضِلٌّ، كان من القبط، ويُنْسَب إلى قريته السامرة، وهي من قرى مصر، فانْدَسَّ هذا السامري في بني إسرائيل لتعلُّقه بهم في مصر، أو لصناعةٍ كان يصنعها لهم، فلما ذهب موسى عليه السلام لميعاد ربه استغل السامري غَيبة موسى عليه السلام عنهم، وأراد فتنتهم عن دينهم، فقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلَّف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لأجل هذه الحلي والزينة، وهي حرام عليكم، فأمرهم بإلقائها في النار، فصنع لهم عجلًا، وكان صاحب صنعةٍ، ودعاهم إلى عبادة العجل، فأخبر الله موسى عليه السلام عن إضلال السامري لبني إسرائيل، فحزن موسى عليه السلام لذلك وتألَّم، وحمل الألواح، ونزل عن جبل الطور، وتوجَّه إلى قومه، ووبَّخهم على صنيعهم، فأخبروه بما طلبه السامري منهم؛ للتخلُّص من الزينة التي نهبوها من قوم فرعون، فسأله موسى عليه السلام عما جرى، فأخبره السامري بأنه رأى ما لم يَرَهُ بنو إسرائيل، حيث رأى الملَك جبريل عليه السلام فقبض قبضة تراب من أثره[1]، فلما

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦١٨).



غاب موسى عليه السلام جمع الحُلِيِّ والزينة التي كانت مع بني إسرائيل، ودعاهم جميعًا للتخلُّص منها؛ لأنها مسروقة، فلما صهرها ألقى فيها تلك القبضة، فصنع منها عجلًا جسدًا له خوار، ثم دعاهم إلى عبادة هذا العجل، فعاقَب موسى عليه السلام السامري بخلعه من بني إسرائيل، وعَزْله عنهم، وإخراجه؛ لفساده وإضلاله، ومنعه من الاقتراب منهم، كما منعهم من الاقتراب منه، فجعل حَظَّه أن يقول في حياته: لا مساس! وأصبح متباعدًا عن مخالطة الناس، مقيمًا وحده مطرودًا معزولًا، لا يترك أحدًا يقترب منه، فإذا لقيه إنسان قال له: لا مساس! فلا تَمَسُّنِي ولا أَمَسُّك، ولا تقترب مني ولا أقترب منك.

ثم عمد موسى عليه السلام لهذا العجل فحرقه بالنار، ثم جعله كالنشارة، وذَرَّهُ[1] في البحر تذريةً بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر، ثم قال موسى عليه السلام لأولئك الذين عبدوا العجل المغرَّر بهم: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ﴾ [طـه: ٩٨] الحقُّ الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨].

(١) أي: نثره كالغُبار.



بلعام بن باعوراء



هو عالم مــن علماء الســوء، من القــوم الجبَّارين الذين سكنوا الأرض المقدَّسة في زمن بعثة نبي الله موسى عليه السلام، وقد كان على علمٍ بآيات الله تعالى، فأغراه قومه ليســتعمل علمه الذي آتاه الله إياه في صدِّ نبي الله موسى عليه السلام وقومه عن دخول الأرض المقدســة، فاســتعمل علمه في الصدِّ عن ســبيل الله تعالى، ودعا الله تعالى بأن ينهزم نبيه موسى عليه السلام وأتباعه، وأن يُوَلُّوا الأدبار أمام قومه الجبارين، ولكن الله تعالى أخزاه، فكان كلما دعا لقومــه الجبارين صرف الله تعالى لســانه فدعا على قومه حتى تدلى لســانه كالكلب اللاهث، ثــم قال لقومه: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يَبْقَ إلَّا المكر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، وإني أرى أن تُخْرِجُوا إليهم فتياتكم بعد تزيينهن، فإن الله يبغض الزِّنا، فإن وقعوا فيه هلكوا، فوقع بنو إسرائيل في الزنا، واستحلُّوا ما حرَّم الله، فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا، وأَبَوْا أن يُطِيعوا أمر ربهم ونبيهم موسى عليه السلام، فكتب الله عليهم التيه أربعين سنة، وأصبح بلعام بــن باعوراء بهذا الفعل الشــنيع آية في الغواية والانسلاخ والخزي إلى يوم القيامة.

أصحاب السبت

هم قومٌ من بني إسرائيل من أهل أَيْلَة، وهي القرية التي كانت حاضِرَةَ البحرِ، ابتلاهم الله تعالى، فحرَّم عليهم في يوم السبت الحيتان؛ صيدَها وأَكْلَها، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم الحيتان شُرَّعًا[1] إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذَهَبت، فلم يَرَوْا حوتًا صغيرًا ولا كبيرًا، حتى إذا كان يوم السبت أتت شُرَّعًا، حتى إذا ذهب السبت ذهبت، فكانوا كذلك، حتى إذا طال عليهم الأمد عمد رجل منهم فأخذ حوتًا سرًّا يوم السبت، فخَزَمَهُ بخيط، ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتدًا في الساحل، فأوثقه ثم تركه، حتى إذا كان الغد جاء فأخذه، ثم انطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر، عاد لمثل ذلك، ووجد الناسُ ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، ففعلوا مثلما فعل، وصنعوا سرًّا زمانًا طويلًا، فلم يُعَجِّل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانيةً

---

(١) أي: ظاهرة في الماء.

وباعوها بالأسواق، فقالت طائفة منهم من أهل البقية: وَيْحَكُم، اتقوا الله، ونَهَوْهُم عما يصنعون، وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تَنْهَ القوم عما صنعوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلم يروهم، فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأنًا! فانظروا ما هو، فذهبوا ينظرون في دُورِهم، فوجدوها مُغْلَقَةً عليهم، قد دخلوها ليلًا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قِرَدَةً، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد، فجعلهم الله عِظَةً وعِبْرَةً للمعتبرين.

أصحاب الأخدود

هم قوم كافرون من أهل نجران، كان فيهم رجل مسلم ممن يقرأ الإنجيل، آجَرَ نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجِر النورَ يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها، فرَمَقَهُ(١) حتى رآه، فسأله فلم يخبره، فلم يَزَلْ به حتى أخبره بالدين، فتابَعه أناس كثير، وكان هذا بعد رَفْع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع بذلك ملكهم الذي يقال له: «يوسف ذو نواس»، فسار إليهم بجنده، فخَيَّرَهُم بين أن يتركوا دينهم أو يُقْتَلوا، فاختاروا القتل، فخَدَّ لهم في الأرض الأخاديد(٢)، وجمع فيها الحطب الكثير، وأوقد فيها نارًا عظيمة اللهب، فعرض عليهم الكفر، فمَن أبى أن يكفر قذفه في النار، ومَن رجع عن دين عيسى عليه السلام لم يقذفه فيها، فأخذوا يقذفونهم في النار وهم شهود على ذلك يتلذَّذون بإيلام أهل الإيمان، وتحريق أجسادهم بالنيران، وفي هذه الأثناء جاءت امرأة ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير

---

(١) أي: لَحَظَه لحظًا خفيفًا.

(٢) الأخاديد: جمع أخدود، وهو الشق العظيم المستطيل في الأرض.

الأخدود نظرت إلى ابنها، فرجعت عــن النار، فضُرِبت حتى تقدَّمت، فلم تَزَلْ كذلك ثلاث مرات، فلمــا كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقــال لها ابنهــا: يا أماه، إنـــي أرى أمامك نارًا لا تُطْفَأ، فلما ســمعت ذلك قَذَفَا جميعًا أنفســهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذفوا في النار قريبًا من عشرين ألفًا من المؤمنين، فلما فرغوا من إحراقهم خرجت عليهم تلك النار التـــي أوقدوها بأيديهـــم، فأحرقتهم فـــي الدنيا وأكلت أجسادهم، ولهم في الآخرة عذاب الحريق.

أصحاب الفيل

هم أبرهة الأشرم وجيشه، وكان أبرهة والي اليمن من قِبَل ملك الحبشـــة، ورأى أن يبني بيتًا ضخمًا فـــي مدينة صنعاء باليمن يدعو العرب إلى حَجِّه بدل حَجِّهم إلى البيت الحرام، وقصد من ذلـــك تحويل التجارة والمكاســـب مـــن مكة إلى اليمن، وعرض هذا على الملك الحبشي، فوافَق وسَرَّهُ ذلك.

وبنى أبرهـــة البيت «الكنيســـة» وســـمَّاها القُلَّيْس؛ لفرط ارتفاعها، فإذا رفع أحدهم نظره إلى نهايتها ســـقطت قلنسوته من رأســـه، فلم يُبْنَ مثلها فـــي تاريخها، فلمـــا عرفت قريش والعرب بذلك غضبوا، فجاء رجل قرشـــي إلـــى صنعاء ليلًا، فتغوَّط فيها ولطـــخ جدرانها بالعَـــذِرة، ثم ذهـــب، فلما كان الصباح رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال فاستشاط غيظًا، وجَهَّزَ جيشًا لغزو مكة وهدم الكعبة، وأقسم أن يهدمها حجرًا حجرًا، وجهَّز لذلك جيشًا عرمرمًا[١]، واصطحب معه ثلاثة عشر فيلاً، ومن بينها فيل يدعى «محمود»، وهو أكبرها.

---

(١) أي: كبير وعظيم.

فلما سمعت العرب بهذه الأنباء عزموا على قتاله، فخرج إليه ذو نفر، وهو من أشـــراف اليمن، واستنفر قومه لملاقاته، فقاتلوه فهزمهم أبرهة وجيشه، ثم سار إلى أرض خثعم، فلقيه نُفَيْل بن حبيـــب الخثعمي، فهزم أبرهـــةُ الخثعميَّ ومَن معه، وأَسَرَهُ، ثم عفا عنه، وأخذه معه دليلًا إلى أرض الحجاز، فلما وصل أبرهة بجيشه إلى الطائف استراح فيها مدة، ثم غادرها إلى المغمس على مشـــارف مكة، فأغار جند أبرهة على إبل مكة فاستولوا عليها، ومن ضمنها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم القرشي.

ثم أرسل أبرهة حناطة الحميري في سِفارة إلى مكة ليأتيه بكبيرها، ويخبره بأن أبرهة لم يـــأتِ لقتالهم إلَّا إذا صدُّوه عن الكعبة، فذهب حناطة بتلك الرســالة، والتقـــى بعبد المطلب، وحَذَّرَهُ وقومَه من قتال أبرهة الأشـــرم وجيشـــه، فلا طاقة لهم بهم، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، فهذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحَرَمُه، وإن يُخَلِّي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفعٌ عنه.

فرافق عبد المطلب بن هاشـــم حناطة الحميري، والتقى بأبرهة، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه[١]، فقـــد كان عبد المطلب رجلاً

---

(١) أي: عرف عُلُوِّ مكانته ومهابته.

وقورًا حســن المظهر، حتى أن أبرهة نزل عن عرشــه وجلس معه على البســاط، وقال لترجمانه: قل له: ما حاجاتك؟ فقال عبد المطلب: حاجتي أن يَرُدَّ علــيَّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة: لقد كنتَ أعجبتنــي حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلَّمْتَني، أتُكَلِّمني في مائتي بعير أصبتُها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك؟

ثم أكمل أبرهة قوله: لقد جئــتُ لهَدْمه، ألا تكلمني فيه؟ فردَّ عبد المطلب بن هاشم: إنني أنا ربُّ الإبل، وإنَّ للبيت ربًّا يحميه ويمنعك عنه. فردَّ أبرهة على عبد المطلب إبله.

ثم رجع عبد المطلب إلى قريــش، فأمرهم بالخروج من مكــة والتحصُّن بــرؤوس الجبــال تخوُّفًــا عليهــم، ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقةٍ مــن حلقات باب الكعبة، وقام معه جماعة من قريش يدعون الله، ويستنفرون على أبرهة وجنده، ثم خرجوا إلى رؤوس جبال مكة، وحينما تهيَّأ أبرهة لدخول مكة بجيشــه، ووجَّهوا الفيل «محمود» إلــى الكعبة رفض أن يسير صوب الكعبة، ولما وجَّهوه نحو الشام أخذ يُهَرْوِل، وإلى جهة الشرق كذلك، فما كان من أبرهة إلَّا أن أمر سائس الفيل ليضربه حتى يدخل الحرم.

وفي هذه الأثناء كان عبد المطلب بن هاشم وأشراف مكة ينظرون ليروا ما يحدث، فشاهَدوا من معجزات الله عندما بعث

الله على أبرهة وجيشه طيرًا أبابيل[1]، وكانت الطيور الأبابيل سوداء اللون، يحملُ كل منها حجرًا في منقاره، وحجرين في رِجْلَيْه أمثال الحمص والعدس، وكانت الطيور تُلْقِيها على جيش أبرهة لا يصيب أحدًا منهم إلَّا هلك في ساعته، وفَرَّ أبرهة ولحمه يتناثَر، فهلك في الطريق، وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته.

ومن بعد هذه الحادثة ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وأهله إلى هذا اليوم، وخلَّد الله قصتهم في سورة الفيل، وسُمِّيَ هذا العام الذي وقعت فيها هذه الحادثة بعام الفيل، وهو العام الذي وُلِد فيه أشرف الخلق وأكرمهم على الله تعالى رسول الله محمد ﷺ.

---

(١) أي: جماعات متفرِّقة.

أبو لهب

هو عبد العُزَّى بن عبد المطلب بن هاشم، وكنيته أبو عتبة، وهو أحد أعمام رسول الله ﷺ، وأحد أشراف مكة وشجعان الجاهلية، وكان بيته مجاورًا لبيت النبي ﷺ بمكة، وكان مناصبًا رسولَ الله ﷺ العداءَ، ولم يَرْعَ حق القرابة ولا حق الجوار، ولم يكتفِ بتخاذُله عن نُصْرَةِ ابن أخيه وحمايته، بل عاداه وحارَبه، واجتهد في صَدِّ الناس عنه، وسخَّر أمواله الطائلة لحرب الإسلام وأهله؛ حيث كان غنيًّا عَتِيًّا[1]، وكبر عليه أن يتبع دينًا جاء به ابن أخيه، وأخذ يحرِّض قريشًا على رسول الله ﷺ، وشارَك في تعذيب المؤمنين بمكة، وفي شأنه نزلت سورة المسد، وكان أبو لهب أحمر الوجه مشرقًا، فلُقِّب في الجاهلية بأبي لهب.

ومن العجيب أن أبا لهب قد أعتق جاريته ثُوَيْبَة لما بشَّرته بميلاد ابن أخيه محمد ﷺ فرحًا بذلك، فكان بعد ذلك أشد الناس عداوةً له، وقد بلغ من عداوته أنه كان يتبع

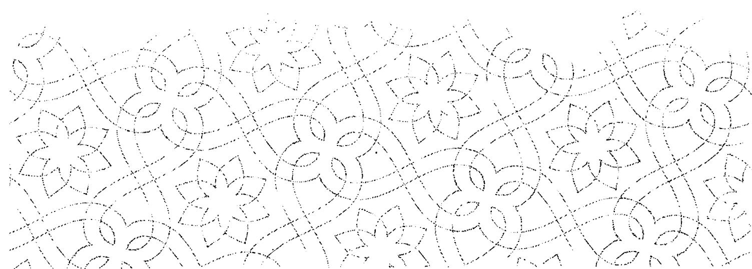
---

(١) أي: مُتَمَرِّدًا مُتَجَبِّرًا.

رسـول الله ﷺ في الأسـواق، والمجامع، ومواسـم الحج، ويُكذِّبـه؛ ليصرف الناس عـن دعوته وتبليغ رسـالته، وكان رسـول الله ﷺ قد زوَّج ابنتَيه أم كلثوم ورُقَيَّة بولَدَيْ أبي لهب عُتبة وعُتَيبة، وهذا قبل بعثته ﷺ، فلما بعثه الله تعالى رسـولًا إلى الناس كافـة أراد أبو لهب إيذاء النبـي ﷺ فقال لأولاده: اشْغَلُوا محمدًا بنفسه. فأمر ابنَيْه بأن يُطَلِّقَا ابنتَيِ النبي ﷺ.

وبعد سـنين مـن الصـدِّ عـن سـبيل الله، ومحاربة الله ورسـوله ﷺ والمؤمنين هلك هذا الأثيم أبو لهب بعد غزوة بدر بسبع ليالٍ بمرضٍ مُعْدٍ يسمى «العدسة»، فتركه ابناه يومَين أو ثلاثة لم يدفناه، حتى أَنْتَنَ، فقال رجل من قريش لابنَيْه: ألا تسـتحِيَان أن أباكما قد أنتن في بيته؟! فقالَا: إنّا نخشى هذه القرحة. وكانت قريش تتَّقِي العدسة كما تَتَّقِي الطاعون، فقال الرجل: انطلقا فأنا معكما، فقذفوه بالماء من بعيد، ثم احتملوه فقذفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة.

أعلام
النساء





الحـور العيـن



هن نساء أهل الجنة، حِسَان الأعين، أبكار، لم ينكحهن قبل أهل الجنة أحد، كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، لا عيب فيهن بوجه من الوجوه، فهن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، يَحَار فيهن الطرف في جمالهن وحُسْنهن، وهن متحبِّبات إلى أزواجهن، وأزواجُهن لهن عاشقون، مستويات في سِنٍّ واحد، وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة، ليس بينهن تباغُض ولا تحاسُد، قد طُهِّرْنَ من كل أذى يكون في نساء الدنيا، فوجههن النور، وأجسادهن الحرير، بِيض الألوان، خُضر الثياب، صُفر الحلي، مجامرهن الدُّرُّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن: ألَا نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن[1] أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنا وكان لنا، يتلقَّيْنَ أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم، أنت حبي وأنا حبك، ليس دونك تقصير، ولا وراءك معدل.

---

(١) أي: لا نرحل ولا نسافر، فلا يُخاف غيابنا.

ووصفهن القرآن بأنهن ممنوعات من التبرُّج والتبذُّل لغير أزواجهن، بل قد قُصِرْن على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقَصَرْنَ عليهم فلا يردن سواهم، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها من محبَّتها له ورضاها به، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره، ومن حسنهن يظهر مخ سوقهن من وراء ثيابهن[(١)]، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، فلو أن امرأة منهن اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأة ما بينهما ريحًا طيبًا، ولنَصِيف[(٢)] إحداهن على رأسها خير من جمال الدنيا وما فيها من متاع[(٣)]، وكلامُ الحوراءِ سِحْرٌ حلال بلا مِراء، وتتغنى لزوجها بغناء تطرب له القلوبُ، وتلتذُّ به الأرواح، جعلَه اللهُ للمؤمنين في الأخرى الذينَ تركوا الغناءَ في الدنيا، فأهل الجنة في شغل معهن لا ينقضي ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦].

فاسمع صفات عرائس الجَنَّاتِ
ثم اخترْ لنفسك يا أخا الفرقانِ
حورٌ حِسانٌ قد كَمُلْنَ خلائقًا
ومَحاسِنًا من أجمل النسوانِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) أي: خمارها.
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٦).

حتى يَحارَ الطرف في الحُسْنِ الذي
قد أُلْبِسَـــتْ فالطـــرفُ كالحَيْرانِ
والطرف يشربُ مِن كؤوسِ جمالها
فتـــراهُ مثـــلَ الشـــاربِ النَّشْـــوانِ
كَمُلَـــتْ خلائِقُها وأكمل حســـنها
كالبدرِ بعد السِّتِّ ليلَ السِّتِّ بعد ثمانِ
والشمسُ تجري في محاسن وجهها
والليـــلُ تحت ذوائـــبِ الأغصانِ
فتُراه يعجب وَهْوَ مَوْضِعُ ذاك مِنْ
ليـــلٍ وشـــمس كيـــف يجتمعانِ
فيقول ســـبحان الـــذي ذا صُنْعُه
ســـبحان مُتْقِـــنِ صنعةِ الإنســـانِ
لا الليلُ يدركُ شمسَها فتغيبُ عنـ
ـد مجيئـــه حتى الصبـــاح الثاني
والشـــمس لا تأتي بِطَرْدِ الليلِ بل
يتصاحبـــانِ كلاهمـــا أَخَـــوانِ
وكلاهمـــا مـــرآةُ صاحِبِـــهِ إذا
مـــا شـــاءَ يُبْصِـــرُ وجهَـــه يَرَيانِي
فيرى محاسِـــنَ وجههِ في وَجْهِهَا
وتـــرى محاسِـــنَها بـــه بِعَيـــانِ

حُمْــرُ الخَــدودِ ثُغورُهــنَّ لآلِئ
سُــودُ العيــونِ فواتِــرُ الأجفانِ[١]
والبرقُ يبــدو حين يَبْسِــمُ ثغرُها
فيضيء ســقفَ القصرِ بالجدرانِ
ولقــد رُوِينَــا أنَّ برقًــا ســاطِعًا
يبــدو فيســألُ عنــه مَــن بِجِنانِ
فيقــالُ هذا ضــوءُ ثَغْــرٍ ضاحِكٍ
فــي الجنــةِ العليــا كمــا تَرَيانِ
فاجمع قُواكَ لما هناك وغَمِّضِ الْـ
ـعَيْنَيْــنِ واصْبِــرْ ســاعةً لزمــانِ
مــا هاهنــا واللهِ مــا يَسْــوَى قلا
مــةَ ظُفْــرٍ واحــدةٍ تُــرى بِجَنَانِ



---

(١) أي: متكسِّرة الأجفان حياءً، ويعبَّر به عن جمال المرأة.



حـواء



حواء هي أم البشـــر عليها السلام، خلقها الله من ضِلع آدم الأيسر من خلفه وهو نائم، فاســتيقظ فرآها فأعجبته، فأَنِسَ إليها[1]، وأَنِسَـــت إليه، وكان خَلْقُها قبل إســكان آدم عليه السلام الجنة، ولما دخل آدم دخلت معه، فظَــلَّا يأكلان منها رغدًا حيث شــاءَا، فوسوس لها الشيطان كما وســوس لزوجها آدم عليه السلام، ووقعت في الخطيئة كما وقع فيها زوجهــا، وتابت مع زوجها لله رب العالمين، وهبطت معه إلى الأرض، وأنجبت حواء لآدم بطونًا كثيرةً فــي الأرض، في كل بطــن ذكر وأنثى، وقد شــرع الله لآدم عليه السلام أن يُزوِّج ذكرَ كلِّ بطن بأنثـــى البطن الآخر، وهكذا تكاثَر أولادهما، وظلَّـــت حواء عليها السلام طائعــة لله تعالى، حتى توفي آدم عليه السلام، ثم توفيت هي الأخرى بعده بسنة، فرضي الله عنها ورحمها.

---

(١) أي: سكن إليها وذهبت وَحْشَتُه.

سـارة

هي الزوجة الصالحة، والمرأة المؤمنة الصابرة، سارة بنت هاران، زوجة الخليل إبراهيـم عليه السلام، وابنة عمّه «هاران»، التي لم تخذل زوجها، بـل وقفت معه في محنتـه ودعوته تؤازره وتناصره، وتَشُدُّ من عَضُدِهِ، وهي أجمل نساء الأرض، حيث لم يخلق الله تعالى امرأة أكثر جمالًا منها غير حواء، وهي أول امرأة آمنت بسـيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام، وشهدت نجاته من النار بعـد أن جعلهـا الله بردًا وسـلامًا علـى زوجها عليه السلام، وهاجرت معه إلى أرض الشام ومصر، وأكرمها الله تعالى بأن عصمها من فجـور ملك مصر الجبار، ورزقهـا الله تعالى من الخليل إبراهيم عليه السلام بالابن العليم بعد تسعين عامًا من العقم، فبشَّرتها الملائكة بإسحاق النبي، ومن ورائه يعقوب عليه السلام الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل، وتُوُفِّيَت سارة رضي الله عنها بعدما رزقها الله سبحانه وتعالى بإسحاق عليه السلام، ودفنها إبراهيم عليه السلام .



آسيا بنت مزاحم



هي امرأة فرعون، آسـيا بنت مزاحـم ﵂، وكانت عاقرًا لا تَلِد، وقد قذف الله في قلبها حب موسى ﵇ وهو في مَهْدِه، فأحبَّتْه حبًّا شـديدًا، وتَبَنَّتْه وغَذَتْهُ ورَبَّتْـه وحَمَتْهُ، وكفَّت عنه عادية فرعون وشَرَّه، ولما دعا موسى ﵇ إلى الله تعالى آمنت به وصدَّقته، ولكنها في البداية أَخْفَتْ ذلك خشيةً من فرعون وبَطْشِـه، ولكنهـا ما لبثت حتى أشـهرت إيمانهـا واتِّباعَها لموسـى ﵇، وحاوَل فرعون رَدَّها عن إسـلامها، واستعمل الترغيـب والترهيب لأجل ذلـك، ولكنها كانـت ثابتة على الحق، ولـم يُزَحْزِحْها فرعون عن دينها وإيمانهـا مقدارَ ذَرَّةٍ، وعذَّبها فرعون أشـد العذاب، فاسـتعانت بالله ﷻ، وسألته سبحانه بأن يبني لها بيتًا في الجنة، فأراها الله بيتها في الجنة قبل موتها تحت التعذيب، وسـألته سـبحانه بأن يُنَجِّيَها من أعمال فرعـون وشـروره، وأن يُنَجِّيَها من القـوم الظالمين، فأجابها رب العزة والجـلال، وأبدلها دارًا خيـرًا من دارها، وأهلًا خيرًا من أهلهـا، وزوجًا خيرًا زَوْجِهـا، ومن فضائلها ومناقبها أنها اختارت القتل علـى الملك، والعذاب في الدنيا

على النعيم الذي كانت فيه، وكانت فراسـتها في موسى عليه السلام صادقةً حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي﴾ [القصص: ٩]، وقد أثنى عليها الصادق المصدوق رسـول الله ﷺ لما قال: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلَّا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**»[١]، فرضـي الله عن هـذه المؤمنة الصادقـة الصابرة وأرضها.



(١) أخرجه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).



ملكة سبأ



هي بلقيس ملكة سبأ، راجحة العقل، سديدة الرأي، ملكت اليمن ونهضت بأعباء مملكتها خير نهوض، وعاصرت نبي الله سليمان عليه السلام، وأبوها هو الملك الهدهاد بن شرحبيل، تَوَلَّتْ عرش سبأ بعد وفاته، واشتهرت بالحكمة والدهاء وحُسْن السياسة، وهي التي بنت سد مأرب، وكانت حاضرةَ مُلْكِها مأرب، وهي مدينة عظيمة باليمن.

وأُوتِيَتْ بلقيس من كل شيء؛ من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع، ونحو ذلك، ولها عرش عظيم تجلس عليه، وكانت تَدِينُ بالوثنية، حيث كانت تعبد مع قومها الشمسَ من دون الله، فمرَّ بها هدهد سليمان عليه السلام فوجدها على تلك الحال، واستنكر ما كانوا عليه من عبادة غير الله عز وجل، فما كان من الهدهد إلَّا أن نقل خبرها إلى نبي الله سليمان عليه السلام، ونبَّأه بأن لها عرشًا عظيمًا.

على إثر ذلك الخبر كتب نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس ملكة سبأ كتابًا جاء فيه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ

وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]، فلما وصل الكتاب إلى بلقيس جمعت الوزراء والوُجَهاء، فاستشارتهم في أمرِ هذا الكتاب، فأشاروا عليها بالحرب وحَشْد الجيوش لمقاتلة سليمان عليه السلام وجنوده، وقالوا: ﴿ نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٣]، ولكنها لم توافقهم على رأيهم، حيث قالت: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤]، ثم اقترحت إرسالَ وفدٍ إلى الملك سليمان عليه السلام، محمَّلًا بالهدايا الثمينة والأموال الطائلة، فإن قَبِلَ الهدية فهذا يعني أنه طامع في أموال البلاد وثرواتها، وإن لم يقبل فهذا يعني أنه نبي رسول، ولا هَمَّ له إلَّا الإيمان بالله، فإن آمنتْ سَلِمَتْ وَسَلِمَ قومها، وإن أَبَتْ أغار عليها بجيشه وجنده.

فلما جاء وفدُ بلقيس إلى سليمان عليه السلام، وقدَّم بين يدَيه ما حمله من هدايا وأموال، كان رَدُّ سليمان عليه السلام حازمًا، حيث قال: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧]، فلما رجع الوفد إلى بلقيس، وحدَّثها بما جرى في حضرة هذا الملك، أيقنت أن الأمر لا يتعلَّق بملك تستهويه الأموال والثروات، بل إنه نبي يسعى إلى نَشْر الإيمان في الأرض، فسارت ملكة سبأ نحو نبي الله سليمان لتقف بين يدَيه.

ولما علم سليمان عليه السلام بذلك قال للملأ الذين كانوا في مجلسه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، فقال عفريت من الجن من أهل مجلسه: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، وقال آخر من أهل العلم والكتاب من أهل مجلسه: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم أمرهم سليمان عليه السلام بأن يُنَكِّرُوا ذلك العرش حتى لا تتعرَّف عليه من أول وهلة، وليكون ذلك اختبارًا لها، فلما قَدِمَتْ بلقيس على نبي الله سليمان عليه السلام طُرح عليها ذلك السؤال، حيث قيل لها وهي تنظر إلى ذلك العرش الماثل أمامها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]؟ فنظرت إليه طويلًا، ثم أجابت قائلة: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، والذي منعها من القول بأنه هو عرشها، هو ما كانت تَعْبُد من دون الله، فهي تعرف أن آلهتها «الشمس» لا تستطيع فِعْلَ أمرٍ كهذا، ولو أنها آمنت بأن سليمان نبي مُرْسَلٌ من عند الله، وأن الله على كل شيءٍ قدير، لقالت بأنه عرشها، لذا علَّق سليمان على رَدِّها قائلًا: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

ثم أشار عليها سليمان عليه السلام بدخول الصرح، وهو سطح شفاف من الزجاج، وتحته ماء كثيف، فلما دنت بلقيس من هذا الصرح حسبت أنها ستخوض في الماء، فرفعت رداءها

قليلًا حتى كشفت عن ساقيها من أجل أن تقطع لُجَّة الماء إلى الجهة الأخرى حيث سليمان ﷺ، فأخبرها سليمان ﷺ بأنه سطحٌ أملس شفاف، وليس كما ظنَّت أنه ماء، فكانت هذه الحادثة سببًا كافيًا لتعلن بلقيس إسلامها ودخولها في دين الله تعالى تحت إمرة نبي الله سليمان ﷺ، فتابت وأنابت وأسلمت، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثم إن بلقيسًا تزوَّجت من نبي الله سليمان ﷺ، وتوفيت بعد سنة واحدة من مقتل ابنها الملك رحبعم بن سليمان.





مريم بنت عمران



هي المرأة الصالحة مريم ابنة عمران أم المسيح عيسى عليه السلام، أُطلق اسمها على إحدى سور القرآن الكريم، لما حملت أمها بها نذرت ما في بطنها وهو جنين، وهي تطمع أن يكون ذَكَرًا صالحًا لخدمة بيت المقدس، فلما وضعت ما في بطنها فوجئت بها أنثى، ولكنها وفت بنذرها، وجعلت هذه الأنثى خالصة مُحَرَّرةً لله، وألهم الله أمها بأن تسميها مريم، وأعاذتها أمها وذريَّتَها من الشيطان الرجيم.

وُلِدَتْ مريم يتيمة، فقد توفي والدها عمران وهي في بطن أمها، فكانت أمها لا تستطيع تربيتها لكِبَر سِنِّها، فاختلف العابدون في كفالتها، فكلهم كان يريد أن يكفلها، فاتفقوا أن يقفوا على مجرى النهر ويرموا أقلامهم، واختاروا القلم؛ لأن عمران والد مريم كان يُعلِّمهم بالقلم، وآخر قلم يبقى في النهر دون أن ينجرف هو الذي يكفلها، فرموا أقلامهم وجُرِفت أقلامهم، ووقف قلم زكريا عليه السلام، فقدَّر الله تعالى أن يكفلها زكريا النبي، وهو زوج خالتها، فعاشت في بيته عند خالتها، ونشأت نشأة إيمانية صالحة، وشبَّتْ مريم وبيتُها المسجد،

وخلوتها فيه، وأجرى الله لها كرامة عظيمة، فكلما كان زكريا عليه السلام يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقًا، فسألها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فأجابته: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وطوال تلك المدة كانت مريم، وهي المقيمة في المحراب، فتاةً عابدة قانتة في خَلْوَةِ المسجد، تُحْيِي ليلها بالذِّكْر والعبادة والصلاة والصوم، ثم إن الله تعالى بعث لها جبريل عليه السلام، وأتاها وهي في خلوة ومناجاة لله، بعيدة عن قومها، فلما رأته أمامها بشرًا سويًّا ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ۝﴾ [مريم: ١٨ - ٢١]، فنفخ فيها نفخة بأمر الله، ودخلتها روح من الله، وخَلَقَ الله في رحمها عيسى عليه السلام.

ثم تتابعت أحداث حملها وولادتها في ساعات متعاقبة، وألجأها المخاض إلى جذع النخلة، فقالت وهي في تلك الحال العصيبة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣]، ثم وضعت ابنها عيسى عليه السلام في منطقة بيت لحم القريبة من القدس، فأنطق الله ابنها الذي لم تَمْضِ لحظات على ولادته، وطمأنها، وأرشدها بأن تَهُزَّ إليها بجذع النخلة

لتساقط عليها رطبًا جنيًّا، وطلب منها أن لا تتكلَّم عندما يسألها قومها، وأن تَكِلَ الكلام إليه، وحملت مريم وليدها.

ثم أتت به قومها، ففوجئوا بذلك وقالوا: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨]، فلم تتكلَّم، وأشارت إلى وليدها، فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

وبقيت مريم رضي الله عنها مع ابنها عيسى عليه السلام حتى كبر وصار نبيًّا، ثم تُوُفِّيَتْ بعد ذلك.

نساء النبي ﷺ

هنَّ أمهات المؤمنين وزوجات رسول الله ﷺ: خديجة بنت خويلد، وسَوْدة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خُزَيْمة، وهند بنت أبي أمية (أم سلمة)، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، ورملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حُيَيٍّ، وميمونة بنت الحارث، فأما خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، فقد تزوَّجها النبي ﷺ قبل النبوة، وعمرها أربعون سنة، ولم يتزوَّج عليها حتى ماتت، وهي أم أولاده ما عدا إبراهيم، وهي التي آزَرَتْه ونصرته وثبَّتَتْه، وجاهدت معه وواسَتْه بنفسها ومالها، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في عام الحزن، فحزن عليها رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا.

وأما سودة بنت زمعة القرشية، فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة بأيام، وانفردت به ﷺ نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة، وهي التي وهبت يومها لعائشة، وماتت سودة رضي الله عنها في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأما عائشة بنت أبي بكر الصديق ﵄ فهي تُكْنَى بأمِّ عبد الله مع أنه ليس لها أولاد، وقد تزوَّج بها النبي ﷺ في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوَّج بِكْرًا غيرها، وكانت أحبَّ الخلق إليه، وهي التي رماها أهل الإفك، فأنزل الله تعالى براءتها من فوق سبع سماوات، واتَّفقت الأمة على كُفْر قاذفها، وهي أفقه نساء العالمين، وأعلمهن بالله وكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، وكان الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها، وماتت سنة ثمانٍ وخمسين في شهر رمضان.

وأما حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵄ فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد أن توفي زوجها خُنَيْس بن حذافة السهمي البدري، وكانت كثيرة الصيام والقيام، وماتت في شهر شعبان سنة خمس وأربعين من الهجرة.

وأما زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر، فقد تزوَّجها النبي ﷺ في شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرًا من الهجرة، وقد توفيت بعد زواج الرسول ﷺ بها بشهرين.

وأما أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة، فلما أصيبت بزوجها قالت: «اللهمَّ أْجُرْنِي في مصيبتِي، وأَخْلِفْ لي خيرًا

منها»، فأخلفها الله بخير من زوجها[١]، وقد ماتت ســنة إحدى وستين للهجرة، وهي آخرهن وفاةً.

وأما زينب بنت جحش من أســد بني خزيمة، وهي ابنة عمَّته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحــزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تفتخر على نســاء النبي ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق سبع ســماوات[٢]، وكانت أولاً عنــد زيد بن حارثــة رضي الله عنه، وكان رســول الله ﷺ قد تَبنَّاه، فلما طلَّقها زيد رضي الله عنه، زوَّجه الله إياها، وتوفيت سنة إحدى وعشرين للهجرة.

وأما جويرية بنــت الحارث بن أبي ضــرار المصطلقية، وكانت من ســبايا بني المصطلق، فقد جاءت رســول الله ﷺ تطلب منه أن يُعِينها في مكاتبتها لعتــق رقبتها، فعرض عليها قضاء كتابتهــا وزواجه بهــا فقبلت، فتزوَّجها رســول الله ﷺ وجعل عتقهــا صداقها، فلما عَلِــم الناس بذلــك أعتقوا مَنْ بأيديهم من الأسرى؛ إكرامًا لأصهار رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة أعظم على قومها بركةً منها[٣].

وأما أم حبيبــة رملة بنــت أبي ســفيان صخر بن حرب

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٢٦٣٦٥).

القرشـــية الأموية فقد تزوَّجها رســـول الله ﷺ بعد وفاة زوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرةً، فأصدقها عنه النجاشي بأربعمائة دينار[١]، وسِيقَتْ إليه من هناك مع شرحبيل بن حسنة، وماتت في أيام خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين من الهجرة.

وأما صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من وَلَدِ هارون بن عمران أخي موســـى بن عمران، وكانت قد صارت لرسول الله ﷺ من السبي أَمَةً، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها، وجعل عتقهـــا صداقها[٢]، وكانت من ســـيدات النســـاء عبادةً وورعًا وزهادة وبِرًّا وصدقة، وتوفيت ســـنة اثنين وخمســـين للهجرة.

وأما ميمونة بنت الحارث الهلالية فهي آخر من تزوَّج بها رسول الله ﷺ تزوَّجها بمكة بعد أن تحلَّل من عمرة القضاء[٣]، وتوفيت سنة إحدى وخمسين للهجرة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٦٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٠)، ومسلم (١٣٦٥).

(٣) أخرج مسلم (١٤١١) عن ميمونة بنت الحارث: «أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال».

امرأة نــوح

هي واغلة امرأة نبي الله نـــوح عليه السلام، وهي أم أولاده كلهم: حام، وســـام، ويافث، ويام، وكانت ممن ســـبق عليه القول؛ لكفرها وخيانتها لزوجها نوح عليه السلام، حيـــث كانت كافرة على مِلَّة قومهـــا، وكانت تقول للنـــاس عن زوجها: إنـــه مجنون، وكانت تُطْلِع قومها على أســـرار نوح عليه السلام، فإذا آمَن مع نوحٍ أحد أخبرت الجبابرة من قومها بهـــذا، وكانت أيضًا تَصُدُّ عن ســـبيل الله تعالى، وتُناصِر أهل الكفر من قومهـــا، فلم ينفعها كونُها زوجة نوح عليه السلام، فهلكت غرقًا بالطوفان العظيم على مِلَّة قومها، وســـيقال لها يـــوم القيامـــة: ادخلي النـــار من جملة الداخلين فيها من الكافرين.



امرأة لوط



هي والهة امرأة نبي الله لوط عليه السلام التي اشترت الضلالة بالهدى والعذابَ بالمغفرة، فكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها وعلى دينهم، فكانت إذا أضاف لوط عليه السلام أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، فإذا نزلوا عليه في بيته في الليل أخبرتهم بواسطة النار، وإذا نزلوا عليه في النهار أخبرتهم بواسطة الدخان، ومن ضمنهم أضيافه من الملائكة الكرام عليهم السلام، فحق عليها عذاب ربها مع الذين نزل بهم العذاب من قومها، فلم ينفعها كونها زوجةَ نبي، ولا دفع عنها ذلك من عذاب الله من شيءٍ مع كرامة لوط عليه السلام على الله تبارك وتعالى، وضرب الله بهذه المرأة مثلًا في كتابه العزيز للذين كفروا في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، فكانت خيانتها في الدين؛ لأنها كانت على مِلَّة قومها، فإنه ما بَغَت امرأة نبي قط، ولما جاءت ساعة الخروج من القرية خرج

لوط عليه السلام بابْنَتَيْه ليلًا ولم يَسْــرِ بها، ولكن لما سَرى عليه السلام هو وبنتاه تبعتهم فالتفتت، فهلكت مع قومها، وستدخل مع قومها أيضًا جزاءً لما جَنَتْهُ يداها من الأفعال المنكَرة، ولا يظلمُ ربك أحدًا.





أمُّ جَمِيل



هي امرأة أبي لهب، اسمها أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت أم جميل هذه تحمل الشَّوك في الليل وتضعه في طريق النبي ﷺ الذي يسلكه إلى بيته ليعقر قدمَيْه، فوصفها القرآن بأنها حَمَّالة الحطب، وكانت امرأة تمشي بالنميمة بين الناس، وتُوقِد بينهم نار البغضاء والعداوة، وتُحرِّض زوجها وتُغريه وتُمِدُّه بأنواع الحِيَل لإيقاع الأذى بالنبي ﷺ، وكانت ذات لسان سَلِيط تفتري وتكذب، وتُؤَجِّج الفتن، وتسيء للرسول ﷺ، فقد روى الشيخان عن جندب بن سليمان رضي الله عنه أنه قال: اشتكى النبي ﷺ، فلم يَقُمْ لَيْلَة أَو ليلتَين، فأَتت امرأَةٌ ـ وهي أم جميل ـ فقالت: يا مُحَمَّدُ ما أَرى شيطانك إلَّا قد تركك، فأَنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١ ـ ٣][1].

ولما نزلت سورة المسد في شأنها وشأن زوجها جاءت بحَجَر حادٍّ، وظلَّت تبحث عن رسول الله ﷺ في ساحة البيت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

الحرام، فلما دنت من رسول الله ﷺ أعمى الله بصرها، فلم تَرَ إلَّا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر، بلغني أن صاحبك يهجوني أنا وزوجي، فوالله لئن وجدته لأضربن بهذا الحَجَرِ وجهه[1]. ثم أنشدت تقول: (أَمْرَهُ أَبَيْنَا، ودِينَهُ قَلَيْنَا)، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: «**ما رأتني، لقد أعمى الله بصرها عني**».

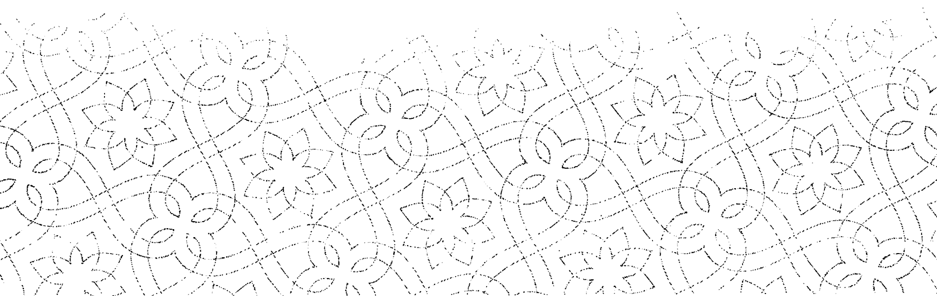
وقد توعَّدها الله ﷻ بعذاب يوافق فعلها، فكما حصل لزوجها أبي لهب وَعِيدٌ مقتبَس من كُنيته، جعل الله لامرأته وعيدًا مقتبَسًا لفظُه من فِعلها، وهو حَمْل الحطب في الدنيا، فأُخْبِرَت بأنها ستحمل الحطب في جهنم ليوقَد به على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها؛ إذ جعل شدة عذابه على يد أحبِّ الناس إليه، وجعلها سببًا لعذاب أعزِّ الناس عليها.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٣)، والحاكم (٣٣٧٦).

أعلام

الأماكن





الجنَّـة



هي مكان أعَدَّه الله لعباده المؤمنين، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر[١]، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور الشامخة، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلِّية، والأصوات الشجية، وتزاوُر الإخوان، ورؤية الرحمٰن، فلا دار أحسن منها، فإن بناءَهَا لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلَاطُها[٢] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، وأبوابها ثمانية، إذا دخلها أهلها نادى منادٍ: إن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحْيَوْا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشِبُّوا فلا تَهرموا أبدًا.

وفي الجنَّة غُرَف يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، وفيها خيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضًا، وأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) المِلَاط: ما يُجْعَل بين الحجارة في البناء ليشدها.

يلونهم على أشد نجم في السـماء إضاءة، فيدخلونها جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعـادًا[١]، مُكحَّلين، أبناء ثلاث وثلاثيـن، على خَلْق آدم، طولهم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع، وهم لا يتغوَّطون فيها، ولا يبولـون، ولا يمتخطـون، ولا يبصقون، أمشـاطهم الذهب، ومجامِرُهم الأُلوَّة[٢]، ورَشْـحهم[٣] المسـك، وثيابهم من سُنْدُس وإستبرق وحرير، فلا تَبْلَى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم.

وفي الجنة شـجرة يسـير الراكب فـي ظلهـا مائة عام لا يقطعها، وفي الجنة سـوق يأتونه كلَّ جمعـة، فتَهُبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجَمالًا، فيرجعون إلى أهليهـم فيقولون لهم: والله لقـد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالًا، فيقولون لأهليهم: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسـنًا وجمالًا، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألـم يُثَقِّل موازيننا، ويُبيِّـض وجوهنـا، ويدخلنا الجنـة، ويزحزحنا عـن النار؟ فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أُعطي أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم منه.

---

(١) الجعادة في الشعر: ألَّا يكون سـبطًا مسترسلاً ولا خَشِنًا ولكن بين بين، وفي الجسم أن يكون شديدًا.

(٢) أي: العود الذي يُتَبَخَّر به.

(٣) أي: عَرَقُهم.



الفردوس



هو ربوة الجنة، وأشرفها وأنورها وأجَلُّها وأعلاها، فليس فوق الفردوس إلَّا عرش الرحمن(١)، ومن الفردوس تتفجَّر أنهار الجنة، وأهل الفردوس هم السابقون المبادرون إلى فعل الخيرات ممن اختصّهم الله بمزيد فضله من الأنبياء والأصفياء والأولياء من عباد الله تعالى، وقد وصف الله ورثة هذا المكان الشريف بأوصاف جليلة ذكرها سبحانه في فاتحة سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

الكعبـة

الكعبة هي عبــارةٌ عن بناء مُكَعَّب مُجــوَّف من الداخل، وهي بيت الله الحرام، وأول بيت وُضِع لعبادة الله تعالى، وهي قبلة المسلمين، فليس على الأرض قِبْلَة سواها؛ وسُمِّيت كعبة لتربيعها، وارتفاعها مــن الأرض، واختُلِف في أول مَن بناها، فقيل: الملائكة، وقيل: آدم، وقيل: إبراهيم، ويُجمَع بين ذلك بأن أول من بناها الملائكة، ثــم جدَّدها آدم، ثم رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام، وقد جعل إبراهيم عليه السلام طولها تسعة أذرع، وجعل لها بابَيْن ملاصِقَيْن للأرض أحدهما من الشــرق، والثاني من الغرب، ولم يجعل لها ســقفًا، ولا وضع علــى البابين أبوابًا تفتح وتغلق، وحفر في داخلها بئرًا يكون خزانةً لهداياه، وهي من الداخل تقــوم على ثلاثــة أعمدة ضخمة، وفــي الناحية الشــمالية يقع باب التوبة الذي يتم منه الصعود إلى ســطح الكعبة، ويغطي سقف الكعبة من الداخل وجانبًا من جدرانها ستائر من الحرير الأحمر عليها مربعات مكتوب فيها: (الله جلَّ جلاله)، وفي الناحية المقابلة لبــاب الدخول محراب، وبقية

الجدران مُغَطَّاة بالرخام المجـزَّع[١]، وبالكعبة صندوق ضخم تُحْفَظ فيـه بعض مقتنياتهـا، وقد تدلَّت من السـقف قناديل ضخمة من الذهب، وقد رُصِّعت[٢] بالجواهر واللآلئ.

وللكعبة أربعة أركان: «الركن الأسـود، والركن الشامي، والركن اليماني، والركن العراقي»، وفي الكعبة الحجر الأسود الذي يقع في الركن الشرقي منها، وقيل: إنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد هبط به من الجنة فاسودَّ من خطايا الناس، وقد كان الحجر قبل هذا أشـد بياضًا من اللبن[٣]، وأول مَن وضع ميزابًا للكعبة قريش حين بنتها سنة خمس وثلاثين من ولادة المصطفى ﷺ، حيث كانت قبل ذلك بلا سـقف، وللكعبة خُدَّام يسـمون بسَدَنة[٤] الكعبة، وهم المعروفون ببيت بني شَيْبة.

---

(١) أي: مُقَطَّع بألوان مختلفة.

(٢) أي: نُسِجَتْ وشُدَّ بعضها إلى بعض.

(٣) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وأحمد (٢٧٩٥).

(٤) أي: الخُدَّام والقائمين على أمرها.

المسجد الأقصى

هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن بإيلياء، وأول مَن بناه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة[١]، فهو أول مسـجد بُنِـي فـي الأرض بعـد الكعبـة، ثـم جـدَّد بناءه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمسـجد الأقصى هو أولـى القبلتين، حيث استقبله المسـلمون في الصلاة من وقت وجوبها إلى ما بعد الهجرة بستة عشر شهرًا، ثم نُسخ اسـتقباله، وصارت الكعبة قبلةَ المسلمين.

والمسجد الأقصى هو مسرى نبينا محمد ﷺ، وقد صلَّى فيه رسـول الله ﷺ بالأنبيـاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إمامًا، وهو أحد المسـاجد الثلاثة التي تُشَـدُّ الرحال إليها[٢]، وسُـمِّيَ بالأقصى؛ لأنه لم يكن وراءه مسـجد وقتئذٍ، والصلاة فيه بخمسـمائة صلاة[٣]، وكان أول مَن صلَّى فيه من المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجعل له حرمة المسـاجد، ولـم يُبْنَ هنالك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٤١٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٤٥).

مسجد إلَّا في عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر بابتداء بناء القُبة على الصخـرة، وعمارة المسـجد الأقصى، ووكل على بنائها رَجاء بن حَيْوَة الكِندي أحد علماء الإسلام، فابتدأ ذلك سنة ست وسـتين من الهجرة، وكان الفراغ من ذلك في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

وهو مسجد مبارَك، وأسباب بركته كثيرة، منها أن واضعه إبراهيم ﵇، ومنهـا ما لحقه من البركة بمـن صلَّى فيه من الأنبياء ﵈ من داود وسـليمان ومَن بعدهما مـن أنبياء بني إسرائيل، ثم بحلول الرسـول عيسى ﵇ وإعلانه الدعوة إلى الله فيـه وفيمـا حولـه، ومنهـا بركـة مَـن دُفـن حوله من الأنبياء ﵈، فقد ثبت أن قبرَيْ داود وسـليمان ﵉ يقعان حول المسجد الأقصى.

وأعظـم تلك البـركات حلـول النبـي ﵇ فيـه برُفقة جبريل ﵇ في حادثة الإسراء والمعراج، وصلاته فيه بالأنبياء كلهم ليلة الإسراء.

البيت المعمور

هو بيت في السماء الســابعة تحت العرش، بناه الملائكة الكرام عليهم السلام، يقــال له: الضراح[١]، يســتند إليه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهذا البيت بحيال الكعبة، فلو ســقط منه شيء لســقط عليها، ويدخله ســبعون ألف ملك كل يــوم للعبادة والصلاة والطــواف، فإذا خرجوا منه لم يعــودوا إليه إلى يوم القيامة[٢]، وحرمة هــذا البيت في الســماء كحرمة الكعبة في الأرض، فهو مُعظَّم في أهل السماء، كما أن الكعبة مُعظَّمة في أهل الأرض، ووُصِف هذا البيــت بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكــة، ويتعبَّد الله فيه، أو فــي كونه لا يخلو من طائف بــه، وفي كل ســماء بيت يتعبَّــد فيه أهلهــا لله تبارك وتعالى، ومن تلك البيوت «بيت العزة» في السماء الدنيا، وهو البيت الذي نزل فيه القرآن من اللوح المسطور.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).



طُوى



هو اسمٌ للوادي المقدس ـ الـمُطَهَّر الـمُعَظَّم ـ الذي اختاره الله تعالى لمناجاة كليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك لما سار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهله من مَدْيَن بعد قضاء الأجل عائدًا إلى مصر، وكانت تلك الليلة ليلة مُظْلِمة شاتية، فضَلَّ موسى الطريقَ، ودخل بأهله هذا الوادي الواقع بالجانب الغربي الأيمن لجبل الطور بأرض سيناء، فرأى نارًا مشتعلة في شجرة في سَفْح الوادي، فطلب من أهله أن يمكثوا قليلًا لكي يذهب إلى النار لعله يجد أحدًا فيسأله عن الطريق، أو يأتيهم بشهاب قَبَسٍ يستدفئون به.

فلما وقف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بجانب الشجرة المشتعلة نارًا ناداه ربه، وأخبره بأنه بالوادي المقدس طوى، وأمره بأن يخلع نعليه؛ ليباشر بقدمَيه تراب هذه الأرض المقدَّسة، فيناله من بركتها، وأخبره سبحانه بأنه اختاره واصطفاه لرسالته، وأظهر له آياته الدالة على صدق رسالته؛ ليتقوَّى بها، ويزداد إيمانه ويقينه بربه، وأمره بالمسير إلى فرعون الطاغية لكي يدعوه إلى عبادة ربه؛ وسُمِّي الوادي بطوى؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طواه بالليل؛ إذ مَرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادي، وسَمَّاه الله تعالى مقدَّسًا؛ لأنه كان فيه الوحي إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الجُودِي

هو اسم جبل اســتوت عليه ســفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد حادثة الطوفان، حيث حمل في السفينة من الدواب من كلٍّ زوجَيْن اثنين، واختلف العلماء في موقع هذا الجبل على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بالموصل؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

الثاني: بالجزيرة؛ قاله مجاهد، وقتــادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل.

والثالث: أنه بناحية آمِد؛ قاله الزجاج.

وفي علّة استواء السفينة على هذا الجبل قولان للعلماء:

أحدهمــا: أنه لــم يغــرق؛ لأن الجبال تشــامخت يومئذ وتطاوَلت، وتواضَع هو فلم يغرق، فرَسَتْ عليه؛ قاله مجاهد.

والثاني: أنه لما قلَّ الماء رَسَتْ عليه، فكان استواؤها عليه دلالةً على قلة الماء.



إرَم



هي إرَم ذات العماد، التي لم يُخْلَق مثلها في البلاد، وهي مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء، مِن بناء شدَّاد بن عاد، وقد كان شدَّاد جبَّارًا، ولما سمع بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار، والغُرَف التي من فوقها غرف، قال لكُبَرائه: إني مُتَّخِذٌ في الأرض مدينة على صفة الجنة، فوكل بذلك مائة رجل من وكلائه وقهارمته[1]، تحت يد كل رجل منهم ألف من الأعوان، وأمرهم أن يطلبوا فضاء فلاة من أرض اليمن، ويختاروا أطيبها تربةً، ومكَّنهم من الأموال، ومثَّل لهم كيف يعملون، وكتب إلى عماله الثلاثة: غانم بن علوان، والضحاك بن علوان، والوليد بن الريّان، يأمرهم أن يكتبوا إلى عُمَّالهم في آفاق بلدانهم أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب، والفضة، والدُّرِّ، والياقوت، والمسك، والعنبر، والزعفران، فيتوجَّهوا به إليه، ثم وجَّه إلى جميع المعادن،

(١) القهارمة: جمع قهرمان، وهو الخازن والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الملك.

فاســتخرج ما فيها من الذهب والفضة، ثم وجَّه عمَّاله الثلاثة إلى الغوَّاصين إلى البحار، فاستخرجوا الجواهر، فجمعوا منها أمثال الجبــال، وحُمِل جميع ذلك إلى شــداد، ثــم وجَّهوا الحفارين إلى معــادن الياقوت، والزبرجد، وســائر الجواهر، فاســتخرجوا منها أمرًا عظيمًــا، فأمر بالذهــب فضُرِب أمثال اللَّبِن، ثم بنى بذلــك تلك المدينة، وأمر بالــدُّرِّ، والياقوت، والجَزْع[1]، والزبرجد، والعقيــق، ففصَّص به حيطانها، وجعل لها غُرَفًا من فوقها غرف، مُعَمَّد جميع ذلك بأساطين الزبرجد، والجزع، والياقوت، ثم أجرى تحت المدينة واديًا، ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخًا، كهيئة القناة العظيمة، ثم أمر فأُجْرِي من ذلك الوادي سَــوَاقٍ في تلك السكك، والشوارع، والأزِقَّة، تجــري بالماء الصافــي، وأمر بحافَّتَــيْ ذلك النهر وجميع السواقي فطُلِيَتْ بالذهب الأحمر، وجعل حصاه أنواع الجواهر: الأحمر، والأصفر، والأخضــر، فنصب على حافتي النهر والسواقي أشــجارًا من الذهب مثمرة، وجعل ثمرها من تلك اليواقيــت والجواهــر، وجعل طول المدينة اثني عشــر فرسخًا، وعرضها مثل ذلك، وصيَّر سورها عاليًا مُشْرِفًا، وبنى فيها ثلاثمائة ألف قصر، مُفَصَّصةً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر، ثم بنى لنفسه في وســط المدينة على شاطئ ذلك

---

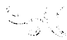
(١) هو الخرز اليماني.

النهر قصرًا عاليًا يُشْرِف على تلك القصور كلها، وجعل بابها يشرع إلى الوادي، بمكان رحيب واسع، ونصب عليه مصراعَين من ذهب، مُفَصَّصَيْن بأنواع اليواقيت، وأمر باتخاذ بنادق من مسك وزعفران، فأُلْقِيَتْ في تلك الشوارع والطرقات، وجعل ارتفاع تلك البيوت في جميع المدينة ثلاثمائة ذراع في الهواء، وجعل السور مرتفعًا ثلاثمائة ذراع مُفَصَّصًا خارجه وداخله بأنواع اليواقيت وظرائف الجواهر، ثم بنى خارج سور المدينة ثلاثمائة ألف مَنْظَرة(١) بلَبِن الذهب والفضة عالية مرتفعة في السماء، مُحْدِقَةً بسور المدينة، لينزلها جنوده، ومكث في بنائها خمسمائة عام، فأراد الله تعالى أن يقيم الحجّة عليه وعلى جنوده بالرسالة، والدعاء إلى التوبة والإنابة، فانتجب لرسالته إليه هودًا عليه السلام، وكان من صميم قومه وأشرافهم، ثم إن هودًا عليه السلام أتاه فدعاه إلى الله تعالى، وأمره بالإيمان، والإقرار بربوبية الله عز وجل ووحدانيته، فتمادى في الكفر والطغيان، وذلك حين تمَّ لِمُلْكه سبعمائة سنة، فأنذره هود عليه السلام بالعذاب، وحذَّره وخوَّفه زوالَ ملكه، فلم يرتدع عمّا كان عليه، ولم يُجِبْ هودًا عليه السلام إلى ما دعاه إليه، ووافاه الموكَّلون ببناء المدينة، وأخبروه بالفراغ منها، فعزم على الخروج إليها في جنوده، فخرج في ثلاثمائة ألف من

---

(١) هي موضع يكون فيه الحُرَّاس ليراقبوا العدو.

حرسه وحاشـيته ومواليه، وسـار نحوها، وخلَّف على ملكه بحضرموت وسـائر أرض العرب ابنه مرثد بن شـدَّاد، وكان مرثد ـ فيمـا يقال ـ مؤمنًـا بهود ﷺ، فلما قرب شـداد من المدينة، وانتهى إلى مرحلة منها، جاءت صيحة من السـماء، فمات هو وأصحابه أجمعـون، حتى لم يَبْقَ منهـم مُخْبِرٌ[1]، ومات جميع مَن كان بالمدينة من الفَعَلة، والصُّنَّاع، والوكلاء، والقهارمة، وبَقِيَت خلاءً خربة لا أنيس بها.



(١) أي: لم يَبْقَ منهم أحد يسـتطيع نقل أخبارهم إلى من وراءهم، فقد ماتوا جميعًا.



بـابـل



هو بلدٌ قديمٌ من أقدم مدن العالم، وأصل الاسـم باللغة الكلدانية: بـاب إيلو، أي: باب الله، ويرادفـه بالعبرانية: باب إيل، وسُمِّيَت بابل بهذا الاسم؛ لأن أَلْسُن الناس تَبَلْبَلَتْ بها، وبابل هـو بلد كائـن على ضفتـي الفرات بحيـث يخترقه الفرات، يقـرب موضعه من موقع بلد الحلـة الآن على بُعْد أميال من ملتقى الفـرات والدجلة، وكانت مـن أعظم مدن العالم القديم، بناهـا أولًا أبناء نوح عليه السلام بعـد الطوفان فيما يقال، ثم توالـى عليها اعتنـاء أصحاب الحضـارة بمواطن العراق في زمـن الملك النمرود في الجيـل الثالث من أبناء نوح، ولكن كانت عظمـة بابل في حدود سـنة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وخمسين قبل المسيح عيسى عليه السلام، فكانت إحدى عواصـم أربعة لمملكـة الكلدانيين، وهـي أعظمها وأشهرها، ولم تَزَلْ هِمَم ملوك الدولتين الكلدانية والأشورية منصرفة إلى تعمير هذا البلد وتنميقه، فكان بلد العجائب من الأبنيـة والبسـاتين، ومنبع المعـارف الآسـيوية والعجائب السـحرية، وقد نزل فيها الملكان هاروت ومـاروت بعد أن

انتشر السـحر فيها، وقد نسـبوا إليها قديمًا الخمر المُعَتَّقَة والسحر، حيث قال أبو الطيب المتنبي:

سقى الله أيام الصِّبا ما يَسُرُّها ويفعل فِعْلَ البابلي المعتَّق

وقيل: بل بناها بيوراسـب الجبار، واشتقَّ اسمها من اسم المشتري؛ لأن (بابل) باللسـان البابلي الأول اسم للمشتري، ولما تَمَّ بناؤها جمع إليها كلَّ مَن قَدَرَ عليه من العلماء، وبنى لهم اثني عشـر قصرًا، على عدد البروج، وسَمَّاها بأسمائهم، فلم تَزَلْ عامرة حتى كان الإسـكندر المقدونـي، وهو الذي خرَّبها، والله أعلم.



بـدر



هو ماءٌ مشهور بين مكة والمدينة أســفل وادي الصَّفراء، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة، ويقال: إنه يُنْسَب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة ســكن هذا الموضع فنُسِــب إليه، ثم غلب اسمه عليه، وبهذا الماء (ماء بدر) كانت الوقعة المشــهورة المباركة التي أظهر الله بها الإســلام، وفــرَّق بين الحــقِّ والباطل في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة.

المدينة

هي مدينة رسول الله ﷺ، دار الهجرة، طابة وطيبة الطيبة، مَأْرِز الإيمان[1]، وملتقى المهاجرين والأنصار، ومُتَنَزَّل جبريل الأمين على الصادق الأمين، وأول عاصمة لدولة الإسلام، فيها عقد ألوية الفتوح، ومنها شَعَّ النور، وأشرقت الهداية، وفيها عاش المصطفى ﷺ، وبها مات ودُفِن، ومنها يُبْعَث، وهي خير البقاع بعد مكة، جعلها الله حَرَمًا آمنًا، فلا يُؤْوَى فيها مُحْدِث[2]، ولا يُهراق فيها دم، ولا يُحْمَل فيها سلاح لقتال، ولا يُخْتَلى خلاها، ولا يُعْضَد شوكها[3]، ولا تؤخذ لُقَطَتُها إلَّا لِمُنْشِد، وهي مبارَكة بدعوة رسول الله ﷺ لها: «**اللهمَّ بَارِكْ لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا بركةً مع**

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧): «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها».

(٢) أي: لا يتستر فيها على مرتكب جناية مطلوب في حد.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٧٢)، ومسلم (١٣٦٦): «فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل».

بركة»[١]، ولا يدخل المدينة الطاعون ولا الدجال، وهي تنفي المنافقين كما ينفي الكِيرُ[٢] خَبَثَ الحديد[٣].

وفي المدينة مسجد النبي ﷺ الذي بناه بيده مع أصحابه، والصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام[٤]، وفيها أيضًا مسجد قباء الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، وأخبر رسول الله ﷺ أنه يشفع لمن سكن المدينة، وصبر على شدتها، ومات فيها[٥]، وأخبر أيضًا أنَّ مَن أخاف أهلها أخافه الله[٦]، ومن أرادهم بسوءٍ أهلكه الله وأذابه في النار.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦)، من حديث عائشة، ومسلم (١٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) الكير: آلة يستخدمها الحداد ينفخ بها النار.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨١).

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٣٧٧).

(٦) أخرجه أحمد (١٤٨١٨)، وابن حبان (٣٧٣٨).

مكة

هي بَكَّة، وأم القرى، والبلد الأمين، مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، ومسكن هاجر وابنها، وأقسمَ الله بها في كتابه فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١، ٢]، وقد دعا لها إبراهيم الخليل عليه السلام قائلًا: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ودعا أيضًا بمحبة قلوب الناس لمكة، وفرحهم بالقدوم إليها، فقال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ففي مكة بيت الله العتيق؛ أول بيتٍ وُضِع للناس، وقد جعل الله مكة حرمًا آمنًا، لا يُسْفَك فيها دم، ولا تُعْضَد بها شجرة، ولا يُنَفَّر لها صيد، ولا يُخْتَلَى خَلاها[1]، ولا تُلْتَقَط لُقَطَتُها، وفيها مقام إبراهيم عليه السلام، والصلاة في مسجدها أفضل من مائة ألف صلاة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٦١١٧)، وابن حبان (١٦٢٠) بلفظ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلَّا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا».

ومكة هي خيـــر البلاد وأحبها إلى الله ورســـوله ﷺ، فقد روى الترمذي في سُنَنه من حديث عبد الله بن عدي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**والله إنك لخير أرضِ الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منكِ ما خرجت**»[١]، وقد خُصَّتْ مكة بالحج والعمرة، والطواف بالبيت، واســتلام الحَجَر الأســـود والركن اليماني، والسعي بين الصفا والمروة، وفيها أشرف ماء على الإطلاق؛ ماء زمزم المباركة.

ومكة هي البلد التي وُلِد فيها أشـــرف الخلق ﷺ، وفيها بُعِـــث، وفيها نزل أعظم كتـــاب وهو القـــرآن الكريم؛ ليكون رســـالة للعالمين، ومنها خرج النبي ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، وعاد إليها فاتحًا سنة ثمانٍ من الهجرة.

---

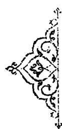
(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨).

أدنى الأرض

هو غور الأردن، وهو أخْفض نقطة في الأرض، وقد وقعت فيه معركة بين فارس والروم، وكان ذلــك قبل الهجرة بخمس سنين، وذلك أن خسرو بن هرمز ملكَ الفرس غزا الروم في بلاد الشام وفلسطين، وهي من البلاد الواقعة تحت حكم هرقل قيْصر الروم، فقاتَــل أهل أنطاكية، ثم أهل دمشــق، وكانــت الهزيمة العظيمة على الروم في أطراف بلاد الشام المحاذية لبلاد العرب، وكانت هــذه الهزيمة هزيمةً كبرى للروم، فلمــا بلغ الخبر أهل مكة شــقَّ على المؤمنين؛ لأن الفرس كانوا مجوسًــا لا يَدِينون بكتاب، والروم كانوا أهل كتاب؛ وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أُمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكــم، ولنظهرن نحن عليكــم، فنزلت ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤]، فغلــب الروم الفرس بعد بِضْعَ ســنين، وعلى إثره جاء هرقل إلى بلاد الشــام ونزل حِمص، ولقي في تلك الأثناء أبا ســفيان بن حرب في رهط من أهل مكة جاؤوا تجارًا إلى الشام؛ ليسألهم عن النبي المبعوث فيهم ﷺ.



مسجد الضرار



هو مســـجد بناه أناس من المنافقين لأبي عامر الراهب، وكان أبو عامر بالمدينة قبل مَقْدَم رسول الله ﷺ إليها، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدِم رسول الله ﷺ مهاجرًا إلـــى المدينة، واجتمع المســـلمون عليـــه، وصارت للإســـلام كلمة عالية، وأظهرهـــم الله يوم بدر، بـــارَز اللعين بالعداوة، وظاهَر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشـــركي قريش فألَّبَهُم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافَقَهم من أحياء العرب، وقَدِموا عام أُحُد، فكان من أمر المســـلمين ما كان، وامتحنهـــم الله، وكانت العاقبة للمتقيـــن، وكان هذا الراهب قد حفر حفائر فيما بين الصفَّيْـــن، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأُصِيب ذلك اليوم، فجُرِح في وجهه، وكُسِرَت رَباعِيَتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدَّم أبو عامر في أول المبـــارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطَبهم واســـتمالهم إلى نصرته وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعـــمَ الله بك عينًا يا فاســـق يا عـــدو الله، ونالوا منه

وسَــبُّوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رســـول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسْــلِم وتمرَّد، فدعا عليه رســـول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريــدًا، فنالته هذه الدعوة؛ وذلــك أنه لما فرغ الناس من أُحُد، ورأى أمر الرســول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنــده، وكتب إلى جماعة من قومه من أهل المدينة من المنافقين يَعِدُهم ويُمَنِّيهم أنه سيقدم بجيــش يقاتل به رســول الله ﷺ ويغلبه، ويَــرُدُّه عما هو فيه، وأمرهم أن يتَّخذوا له معقلًا يقدَم عليهم فيه مَن يَقْدَم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مســجدهم مجاورًا لمســجد قباء، فبَنَــوْه وأحكموه، وفرغوا منــه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاؤوا فســألوا رســول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم؛ ليَحْتَجُّوا بصلاته عليه، وذكــروا أنهم إنما بَنَوْه للضعفــاء منهم، وأهل العلة في الليالي الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه، فقال: «**إنا على سَفَرٍ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»[1].

وفي طريق عودته ﷺ إلى المدينة من تبوك، ولم يَبْقَ بينه وبين المدينة إلَّا يــوم أو بعض يوم، نزل عليــه الوحي بخبر

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٩.

مسـجد الضرار، فبيَّن تعالى خزيهم، وأظهر سِـرَّهم، وأنهم يريدون بهذا المسـجد المضارَّة والمشـاقة بيـن المؤمنين، ويَعُدُّونَه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسـوله ﷺ، ويكون لهم حصنًا عند الاحتياج إليه، فبعث رسـول الله ﷺ إلى ذلك المسـجد من يهدمه قبل مَقْدَمِه للمدينة، فهُدِّم وحُرِّق، وصار بعد ذلك مزبلة، وهلك أبو عامر الراهب الذي كان في طريقه إليهم.

الصفا والمروة

هما جبلان صغيران متقابلان، فأما الصفا فرأس نهاية جبل أبي قُبَيْس، وأما المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ، وسُمِّي الصفا بذلك؛ لأن حجارته من الصفا، وهو الحجر الأملس الصلب، وسُمِّي المروة مروةً لأن حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي تُورِي النار، وهما من شعائر الله، ويرجع بَدْء السعي بين الصفا والمروة إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث تعتبر زوجته هاجر أول مَن سعى بين الصفا والمروة، حينما كانت تلتمس الماء لابنها إسماعيل عليه السلام، فكانت تصعد على جبل الصفا ثم تنزل حتى تصل جبل المروة، وقد كرَّرت ذلك سبعة أشواط، حتى وجدت الماء عند موضع زمزم، فشربت وأرضعت ابنها.

ثم جعل أهل الجاهلية على الصفا إسافًا، وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، فكانوا في الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان كَرِه المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل فِعْل الجاهلية، وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك، فرفع الله عنهم الجناح، وجعل السعي بين الصفا

والمروة من شعائر الحج والعمرة، والصفا هو الموضع الذي شـــهد إعلان دعوة نبينا محمد ﷺ إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين؛ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه**»، قالوا: من هذا الذي يهتف، قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: «**أرأيتكم لـو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالوا: ما جَرَّبْنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد**»[1]، الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

مصـر

هي أُم البلاد، وغَـوْث العباد من الحاضـر والبَادِ، ومَهْد الحضـارات، ففيها آثـار الأنبيـاء، وجبل الطـور، والوادي المقدس طوى، وأرض سيناء، ومشاهد يوسف عليه السلام، وعجائب موسـى عليه السلام، فمصر خزانة الأرض كلها، وسـلطانها سلطان الأرض كلها، وقد جعلها الله تعالى متوسـطة الدنيا، فهي في الإقليم الثالث والرابع، فسَلِمَتْ من حرِّ الإقليم الأول والثاني، ومن بَرْدِ الإقليم الخامس والسادس والسابع، فطاب هواؤها، ونقي جوها، وضعف حَرُّهـا، وخَفَّ بَرْدُهـا، فكثر خصبها، ورَغَد عيشـها، وقد ذكر الله تعالى مصر في أربعة مواضع من كتابه الكريم، وفي ذلك تشريف لها وتكريم، ووصف أرضها بأبلغ وصف وأحسنه، فقال عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٧].

وقال عبد الله بن عمرو عن مصر: «مـن أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها، ويُزْهِر ربيعها، وتُكْسَى بالنَّوار أشجارها، وتغني أطيارها»، ففي مصر النهر العظيم المبارَك نهر النيل الذي ينبع أصله من الجنة كما

أخبر بذلك النبي ﷺ، وفيها الجبل الذي انهدَّ حين تجلَّى له المولى ﷻ، وفيها الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه، وعلى أرضها آمن سحرة فرعون بموسى، وعلى أرضها ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فظهرت آية عظيمة بانشقاق البحر عن أرض يابسة في وسطه.

ودخل مصر من الأنبياء إبراهيم ويعقوب، والأسباط، ويوسف وموسى وهارون ويوشع وأيوب، ومن أهل مصر هاجر القبطية أم إسماعيل الذبيح أبي العرب، ومارية القبطية أم إبراهيم بن محمد ﷺ، ومن أهل مصر المرأة الصالحة آسيا زوجة فرعون، وأم موسى وأخته، ومؤمن آل فرعون، وفي مصر أول جامع بُنِي في أفريقيا جامع عمرو بن العاص، وقد ضبط قبلتَه جماعة كثيرة من الصحابة، وقد أوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر قائلًا: «**أحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) بلفظ: «**إنكم ستفتحون أرضًا يُذكَر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا**».

النـار

هي الجحيم، والحُطَمة، وجهنم، ولظى، وسَقَر، دار أَعَدَّها الله للكافرين، قد أُوقِد عليها ألف سـنة حتى ابيضَّت، وألف سـنة حتى احمرَّت، وألف سنة حتى اسـودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يضـيء شَـرَرُها، ولا يُطْفَأ لهبهـا[١]، يُؤتَى بها يوم القيامة لها سـبعون ألف زمـام، مع كل زمام سـبعون ألف ملَك[٢]، قد فُتِحت أبوابها السـبعة، لكل باب من أهلها جزء مقسـوم، وَقُودُها النـاس والحجارة، تُوصَد عليهـم في عَمَدٍ ممدودة، ويغشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أَرْجُلِهم، وهم يصرخـون فيها ويبكـون، قد خصـوا بالبعـاد، وحُرِموا لذة الإسـعاد، بُدِّلت وضاءة وجوههم بالسـواد، وضُرِبُوا بمقامع أقوى من الأطـواد، وعليهـا ملائكة غلاظ شـداد، وهم في الحميم يسرحون، وعلى الزمهرير[٣] يُطْرَحُون، فحزنهم دائم، ومالكٌ عليهـم قائم، ومقامهـم محتوم، فما منهـم من أحدٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٩١)، وابن ماجه (٤٣٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) شدّة البرد التي أعدَّها الله عذابًا للكفار في الآخرة.

مرحوم، لا يهدؤون فيها ولا ينامون، ولا يموتون فيها ولا يحيون، شرابهم من صديد أهلها، وطعامهم من زَقُّوم وضريعٍ، لا يُسْمِن ولا يغني من جوع، يفترشون النار ويلتحفونها، وقمصانهم من نار وقطران، وتَغْشَى وجوهَهم النار، وهم في سلاسل وقيود مُقَرَّنين، بأيدي الخزنة يجذبونهم مُقْبِلين ومُدْبِرين، كلما احترقت جلودهم بُدِّلُوا بجلود غير هذه الجلود، وأهونهم عذابًا من له نعلان وشِراكان[1] من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل[2]، وقد اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربي، أكل بعضي بعضًا، فأَذِنَ لها بنَفَسَيْن: نَفَس في الشتاء، ونَفَس في الصيف[3]، والنار تُبْصِر وترى وتتكلَّم وتغتاظ، فمن أقوالها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قَ: ٣٠]، ومن أقوالها: «إني وُكِّلت بثلاثة: بكل جبارٍ عنيد، وبكل مَن دعا مع الله إلٰه آخر، وبالمصوِّرين»، ولها دركات سبع، والمنافقون في أسفل دركاتها، وهي تضيق على أهلها، ولا يبقى فيها مكان، قد امتلأت بأهلها، وضاقت عليهم أرضها، وهم فيها في حسرات وحسرات.

---

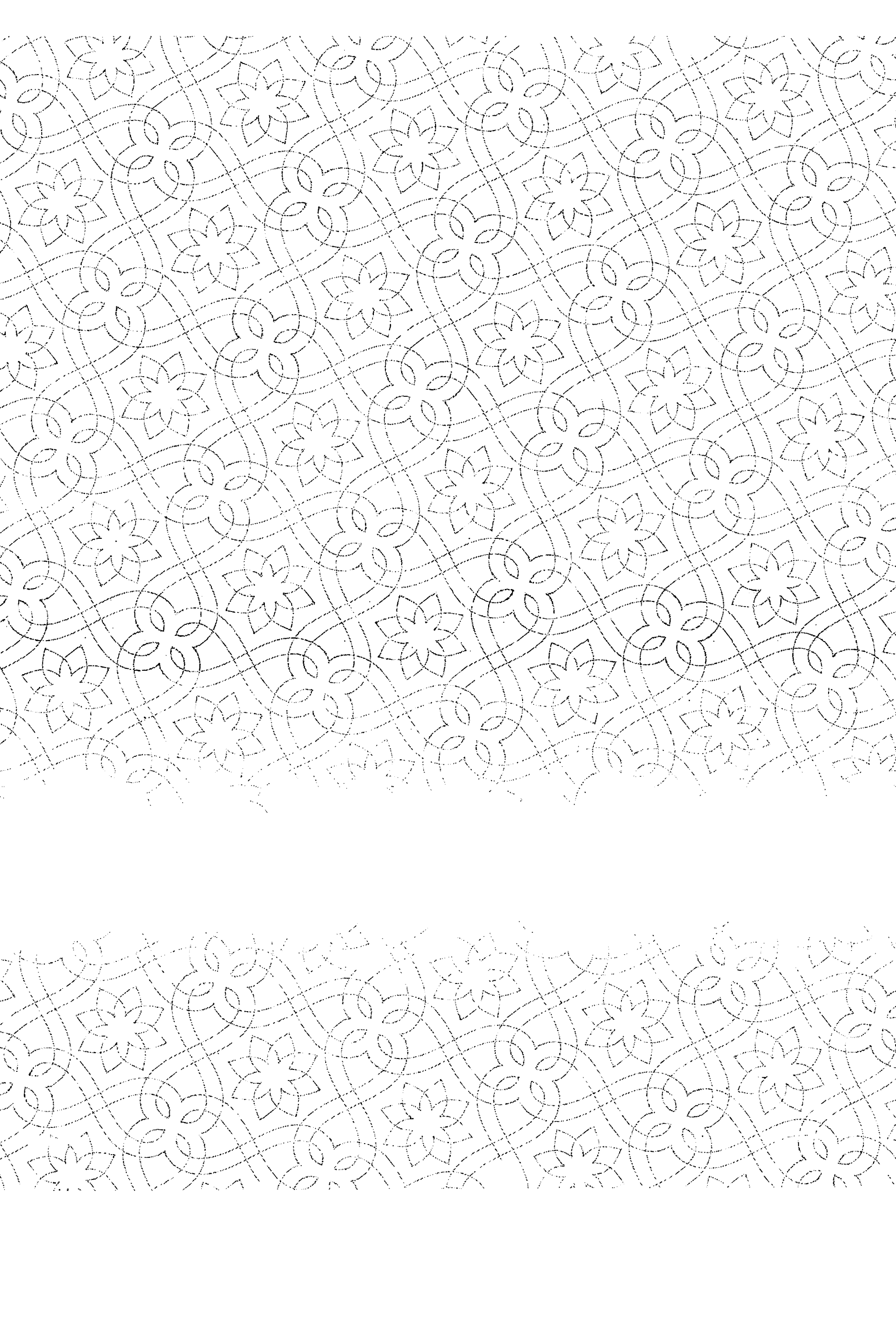
(١) الشراك: السَّيْر الذي يكون على وجه النعل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٦١٧).

أعلام

الأزمنة





شهر رمضان



هو الشهر التاسع من الشهور العربية في التقويم الهجري، وقد سُمِّي رمضان بهذا الاسم؛ لأن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام شدة الحر ورَمضه، فسُمِّي به.

وهو شهرٌ عظيم مبارك، أنزل الله فيه القرآن، وفرض الله على المسلمين صيامه، وفيه تُفْتَح أبواب الجنة، وتُغلَق فيه أبواب النار، وتُغَلُّ[1] فيه مَرَدَةُ الشياطين[2]، وينادي فيه منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أَقْبِلْ، ويا باغي الشر أَقْصِرْ، ولله في كل ليلة منه عتقاء من النار، وهو شهر القيام وتلاوة القرآن، وشهر العتق والغفران، وشهر الصدقات والإحسان، وشهر تُضاعَف فيه الحسنات، وتُقال فيه العثرات[3]، وتُجاب فيه الدعوات، وتُرفع فيه الدرجات، وتُغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويُجزِل فيه لأوليائه

---

(١) أي: تُقَيَّد بالسلاسل.

(٢) مردة الشياطين: هم العتاة الأشِدَّاء.

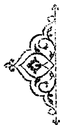
(٣) أي: يَعْفُو الله فيه عن الزَّلَّات والذنوب.

العطيات، وهو شــهرٌ جعل الله صيامه أحد أركان الإســلام، فصامه المصطفى ﷺ، وأمر الناس بصيامه، وأخبر ﷺ أن مَن صامه إيمانًا واحتســابًا غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قامه إيمانًــا واحتســابًا غفــر الله لــه ما تقــدَّم مــن ذنبــه، وكان رســول الله ﷺ أجــود ما يكــون فــي رمضــان حيــن يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن.





ليلـة القـدر



هي ليلةٌ من ليالي شهر رمضان، ابتُدِئ فيها نزول القرآن العظيم، وهي أشــرف الليالي؛ حيث العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شــهر ليس فيها هذه الليلة، وألف شــهر يعادل ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشــهر، وليلة القدر هي ليلة ســلام وأمان، تتنزَّل فيها ملائكــة الرحمن، مَــن قامها إيمانًا واحتســابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، وسُــمِّيَت ليلة القدر بهذا الاسم لعِظَمِها، وشرفها، وقَدْرها، ولأن الله يَقْدُر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السَّنة القابلة؛ من أمر الموت، والأجل، والرزق، وغيره، فقد أنزل فيها كتابًا ذا قَدْر على رســول ذي قَدْر على أمة ذاتِ قَدْر.

وقد تواترت الأحاديث الشريفة في فضل هذه الليلة، وأنها في شــهر رمضان، وفي العشــر الأواخر منــه، خصوصًا في أوتاره، وهي باقية في كل ســنة إلى قيام الســاعة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتكــف، ويُكْثِر من التعبُّد في العشــر الأواخر من رمضان رجاءَ ليلة القدر.

والحكمة في إخفاء ليلة القــدر؛ ليجتهد الناس في إحياء جميع الليالي العشر، كما أخفى ﷻ ساعة الإجابة في الدعاء؛ ليبالِغُوا في كل الساعات، وأخفى الاسم الأعظم؛ ليُعَظِّموا كل الأســماء، وأخفى قبول التوبة؛ ليحافظوا على جميع أقســام التوبة، وأخفى وقت الموت؛ ليخاف الموتَ المكلَّفُ، وكذلك أخفى هذه الليلة؛ ليُعَظِّموا جميع ليالي رمضان.

وقد ســألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: إن وافقتُ ليلة القدر فما أدعو؟ قــال: «**قولي: اللهمَّ إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفو فاعف عني**»[1].



(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠).



يوم الجمعة



هو خير يوم طلعت فيه الشمس، يوم عيد لأهل الإسلام، يجتمعون فيه في كل أسـبوع مرة بالمساجد الكبار، وهو يوم فيه اكتملت جميع الخلائق؛ فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السـماوات والأرض وما بينهما، وفيه خُلِق آدم وفيه أُدْخِل الجنة، وفيه أُخْرِج منها، وفيه تقوم الساعة[1]، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلَّا أعطاه إياه[2]، وقد كان يسمى في الجاهلية يوم عَرُوبة، وأول مَن سماه بهذا الاسـم كعب بن لؤي جد أبي قصي، حيث كانت أسماء أيام الأسبوع عند العرب في القديم هي: أول، أهون، جبار، دبار، مؤنس، عروبة، شِـيار، ثم أحدثوا أسـماء لهـذه الأيام هي: الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت.

وثبت أن الأمم قبلنا أُمِرُوا بهذا اليوم فَضَلُّوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خَلْق، واختار النصارى يوم

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

الأحد الــذي ابتُدئ فيه الخلــق، واختار الله لهــذه الأمة يوم الجمعة الــذي أكمل الله فيــه الخليقة(١)، وكانــت أول جمعة صلَّاها رســول الله ﷺ بالمدينة حين أدركته في بني سالم بن عوف في المســجد الذي كان في بطن الوادي، ويُسْتَحَبُّ في هذا اليوم كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ(٢)، ويُشْرَع فيه أيضًا الاغتسال(٣) والتطيُّب والتبكير لصلاة الجمعة(٤)، وقراءة سورة الكهف؛ فهي نــور ما بين الجمعتيــن(٥)، ويُكــره إفراد يوم الجمعة بصيام تطوُّع(٦).



(١) أخرجه مسلم (٨٥٦).
(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٨)، ومسلم (٨٤٦).
(٤) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٥) أخرجه الحاكم (٣٣٩٢)، والبيهقي (٦٢٠٩).
(٦) أخرجه البخاري (١٩٨٥)، ومسلم (١١٤٤).



يوم الفرقان



هو يوم غزوة بدر الكبرى المباركة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة المباركة، وذلك لما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ العِير[١] المقبلة من الشام لقريش بصحبة أبي سفيان، وكانوا أربعين رجلًا، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظَهْرُه[٢] حاضرًا بالنهوض، فلم يحتفل لها احتفالًا بليغًا؛ لأنه خرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، لم يكن معهم من الخيل إلَّا فَرَسان، وكان معهم سبعون بعيرًا، يعتقب الرجل والثلاثة على البعير الواحد، فلما قرب رسول الله ﷺ من الصفراء بعث بسيس بن عمرو الجهني وعدي بن الرعباء إلى بدر يَتحسَّسان أخبار العِير، فبلغ أبا سفيان خروجُ رسول الله ﷺ ومقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا[٣] لقريش

---

(١) أي: القافلة.

(٢) أي: دَابَّته.

(٣) أي: مستغيثًا وطالبًا النصرة منها.

بالنفير إلى عِيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسـرعين، ولم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب؛ فإنه عوَّض عنه رجلًا كان له عليه دَيْن، وحشـدوا مَن حولهم مِـن قبائل العرب، وخرجوا مـن ديارهم، وأقبلوا بِحَدِّهم وحديدهم، فجمعهم الله على غير الميعاد، فاستشـار رسـول الله ﷺ أصحابَـه فتكلَّـم المهاجرون، فأحسـنوا، ثم استشارهم ثانية، فتكلموا أيضًا فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثة، ففهمَتِ الأنصـارُ أنه يَعنيهم، فبادر سـعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لعلك تخشـى أن تكون الأنصار ترى حقًّا عليها ألَّا تَنْصُرَك إلَّا في ديارهم، وإنـي أقول عن الأنصار، وأُجيب عنهم؛ فاظعن حيث شئت، وَصِلْ حَبْلَ من شِئْتَ، واقطع حبل مَنْ شِئْتَ، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذْتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركـتَ، فوالله لئن سِـرْتَ بنا حتى تبلـغ البَرْك من غِمْدان لَنَسِيرَنَّ مَعَك، ووالله لئن استعرَضْتَ بنا البحر خُضناه معك.

وقال المقداد: لا نقول لك كما قال قوم موسـى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائـدة: ٢٤]، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شـمالك، ومن بين يدَيك ومن خلفك، فأَشْرَقَ وجه رسول الله ﷺ بما سمع[1]، وقال: «**سيروا**

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، ومسلم (٢٨٢٤).

وأبْشِروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مَصَارِعَ القوم»[١]، فسار الرسول ﷺ إلى بدرٍ، وخفض أبو سفيان ولحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أنِ ارْجِعُوا؛ فإنكم إنما خرجتم لتُحْرِزوا[٢] عِيرَكم، فأتاهم الخبر وهم بالجُحفة، فهمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَقْدَمَ بدرًا فنقيم بها ونُطْعِم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك.

فساروا وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عِشاءً في مياه بدر، فقال: «**أشيروا عليَّ في المنزل**»، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، إن رأيت أن نسير إلى قُلُبٍ قد عرفناها كثيرة الماء العذبة فننزل عليها، ونسبق القوم إليها، ونُغَوِّر ما سواها من المياه.

ثم بعث رسول الله ﷺ عليًّا وسعدًا والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر، فقَدِموا بعَبْدَيْن لقريش، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**أخْبِرَاني أين قريش؟**»، قالَا: وراء هذا الكثيب، فقال: «**كم القوم؟**»، فقالَا: لا علم لنا، فقال: «**كم ينحرون كل يوم؟**»، قالا: يومًا عشرًا ويومًا تسعًا، فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ما بين تسعمائة إلى الألف**»، وأنزل الله

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٦٧): «هذه مصارع القوم العشية».

(٢) أي: لتحفظوا.

في تلك الليلة مطرًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منَعهم من التقدُّم، وكان على المسلمين طَلًّا[١] طهَّرَهم به، وأذهب عنهم رِجْسَ الشيطان، ووطَّأ[٢] به الأرضَ وصلَّب به الرمل، وثبَّت به الأقدام، وربط على قلوبهم.

وسبق رسول الله ﷺ وأصحابُه إلى الماء، فنزلوا شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوَّروا ما عداها من المياه، وبُنِي لرسول ﷺ عريشٌ يكون فيها على تَلٍّ مُشْرفٍ على المعركة، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله»[٣]، فلما طلع المشركون وتراءى الجمعان قال رسول الله ﷺ: **«اللهم هذه قريش، قد جاءت بخيلها وفخرها، جاءت تحاربُك وتُكَذِّب رسولك»**، فقام ورفع يَدَيْه، واستنصر ربَّهُ، وقال: **«اللهم أَنْجِز لي ما وعدتني، اللهم إني أَنْشُدك عهدَك ووعدَك»**، فالتزمه الصديق رضي الله عنه من ورائه، وقال له: يا رسول الله، أبشر؛ فوالذي بعثك بالحق لَيُنْجِزَنَّ الله لك ما وعدك[٤].

واستنصر المسلمون الله واستغاثوا به، وأخلصوا له

---

(١) الطل: المطر الخفيف.
(٢) أي: مَهَّد الأرض وهيَّأها.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٣).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٥)، ومسلم (١٧٦٣).

وتضرَّعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته أني معكم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وبات رسول الله ﷺ يصلي، فلما أصبحوا أقبلَتْ قريش في كتائبها، واصطَفَّ الفريقان، فخرج عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فخرج لهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، قالوا: أَكْفَاءٌ كِرَام، وإنما نريد بني عمنا، فبرز إليهم عليٌّ وعبيدة بن الحارث وحمزة، فقتل عليٌّ الوليدَ، وقتل حمزةُ عُتْبَةَ، واختلف عُبَيْدة وشيبة ضربتَين، فَكَرَّ عليٌّ وحمزةُ على شيبة فقتلاه، واحتملَا عبيدةَ، وقد قُطِعَت رِجله.

ثم حَمِي الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتدَّ القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه ﷻ حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرَدَّه عليه الصديق رضي الله عنه وقال: كفاك مناشدتُك ربَّك؛ فإنه مُنْجِزٌ ما وعدك[1]، فأغفى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٥)، ومسلم (١٧٦٣).

رســول الله ﷺ إغفاءةً واحدة، وأخذ القومَ النعــاسُ في حال الحرب، ثم رفَع رسول الله ﷺ رأسه وقال: «**أَبْشِر يا أبا بكر؛ هذا جبريل على ثناياه النقْــعُ**»، وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيَّد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتافَ المشركين أسْرًا وقتلًا، فقتلوا منهم سبعين، وأسَروا سبعين، فكان هذا اليوم المبارك يومًا عظيمًا للإسلام وأهله.



يوم حُنَيْن



هو يوم وقعة حُنَيْن التي كانت بعد فتح مكة في الســابع من شوال ســنة ثمانٍ من الهجرة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما فرغ مــن فتح مكــة، ومُهِّدت أمورها، وأســلم عامــة أهلها، وأطلقهــم رســول الله ﷺ، بلغــه أن قبيلة هــوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عــوف النضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جشم وبنو ســعد بن بكر، وبعض بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بــن عامر، وعوف بن عامر، أقبلوا معهم النساء والولدان والشــاء والنَّعَم، وجاءوا بقَضِّهم وقَضِيضهم[1]، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أســلموا من أهل مكــة، وهم الطُّلَقاء في ألفين أيضًا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بوادٍ يقال له: حُنَيْن، بين مكــة والطائف قُرب ذي المجاز، فكانــت فيه الوقعة في أول النهار في غَلَس[2] الصبح، عندما انحدروا في الوادي وقد

---

(١) أي: جاؤوا مجتمعين.

(٢) الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

كمنت فيه هوازن، فلما تواجَهوا لـم يشعر المسلمون إلّا بهم قد ثَاوَرُوهم[١] ورشــقوهم بالنبال، وشَــهَرُوا الســيوف، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، كما أمرهم مَلِكُهم بذلك، فعند ذلك ولَّى المسلمون مُدْبِرِين، وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذٍ بغلته الشَّــهْبَاء يســوقها إلى نَحْرِ العدو، والعبــاس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث آخِذ بركابها الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو يُنَوِّه باسمه، ويدعو المسلمين إلى الرجوع للمعركة، ويقول لهم: «**أيــن يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله**»، ويقول في تلك الحال:

أنــا النبــي لا كَــذِبْ   أنا ابنُ عبــد الـمُطَّلِبْ

وثبت معه من أصحابه قريب من مائــة، منهم: أبو بكر، وعمر، والعباس، وعلي، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأســامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم، ثم أمر ﷺ عَمَّهُ العباس، وكان جَهِير الصوت، أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة ـ يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايَعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على ألَّا يَفِرُّوا عنه ـ فجعــل ينادي بهــم: يا أصحاب السَّــمُرَة، ويقول تارة: يا أصحاب ســورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس، فجعلوا يتراجعون إلى رســول الله ﷺ، حتى

---

(١) أي: وَثَبُوا عليهم.

إن الرجل منهم إذا لم يُطَاوِعْه بعيره على الرجوع لَبِس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ، فلما رجعت جماعة منهم أمرهـم ﷺ أن يَصْدُقـوا الحملة، وأخذ قبضةً من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: «**اللهم أَنْجِزْ لي ما وعدتني**»، ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسـان منهم إلَّا أصابه منها في عينَيه وفمه ما شـغله عن القتـال، ثم انهزموا هزيمة شنيعة، فاتبع المسلمون أقفاءَهم يقتلون ويَأْسِرون، وما تراجَع بقية الناس إلَّا والأسارى بين يَدَيْ رسول الله ﷺ[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (١٧٧٥).

أعلام

الأقوام والطوائف



قريش



هم حيٌ من عـــرب الحجاز الذين هم مـــن ذرية معد بن عدنان، إلَّا أنه لا يقال: قرشي، إلَّا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقســمون إلى أفخاذ وبيوت، نحو: بني هاشــم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهـــم، وقريش من أعظم قبائل العرب وأشرفها.

وإنما سُمِّيَتْ قريشًا لتجمُّعها من بعد تفرُّقها على يد قُصَيٍّ بن كلاب الذي لمَّ شعث قريش وجمعها من متفرِّقات البلاد، وأزاح يد خُزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة، وصار سيد قريش على الإطلاق، أو سُمُّوا بذلك لتقرُّشهم، والتقرُّش: التكسُّب؛ فقد كانوا تجارًا يسكنون مكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة: رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام.

ويكفي قريشًا فخرًا أن منهم سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، فهو خيرهم نفسًا، وخيرهم بيتًا، وأن الحِجابة والسِّقاية فيهم، وأن الله تعالى نصرهم على الفيل وأصحابه بطَيْر أبابيل، وأنهم عبدوا الله ﷻ عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله تعالى أنزل فيهم سورة من القرآن.

يأجوج ومأجوج

هما قبيلتان كافرتان من ذريــة آدم موجودتان الآن، وهم عِــرَاض الوجوه، صغار العيــون، ذُلْف الأنــوف[١]، صُهْب[٢] الشــعور، كأن وجوههم الـمَجانُّ[٣] الـمُطْرَقة[٤]، على أشكال التُّرك وألوانهم، وهم الآن خلف الســد الذي بناه ذو القرنَين يحجــز بينهم وبين مَن اســتغاثوا بــه منهم؛ لإفســادهم في الأرض، فبناه بين جبلَين، فحبســهم فيه، فلا يزالون يحفرونه حتى يأذن الله بخروجهم من المشرق بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمــان، فيَنْــدَكُّ هذا الســد، فيخرجون ويُفْسِــدون في الأرض، ولا طاقــة لأحــد يومئــذٍ بمواجهتهــم، فينحــاز[٥] عيسى عليه السلام والمؤمنون معه إلى جبل الطور، ويمرُّ أولهم على

---

(١) ذلف الأنوف: في أنوفهم فطس وقِصَر مع استواء الأرنبة وغِلَظها.

(٢) أي: شُقْر، والشُّقْرة: حُمْرة تعلو البياض.

(٣) المجان: جمع مِجَنٍّ، وهو التُّرس الذي يلبسه الفارس للحرب.

(٤) المطرقة: أي: أُلْبِسَــت الأطرقة من الجلود، وهي الأغشــية، وقد شــبَّه وجوههم بالترس؛ لبَسْــطها وتدويرها، وبالمطرقة؛ لغِلَظِها وكثرة لحمها ونتوء وجناتها.

(٥) أي: تركوا المكان الذي كانوا فيه.

بحيرة طَبَرِيَّة فيشـــربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يســيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بنُشَابهم[١] إلى السماء، فيَرُدُّ الله عليهم نُشابهم مخضوبة دمًا، فيرغب عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيُرسل الله عليهم النَّغَف[٢] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[٣] كموت نفس واحــدة، ثم يهبــط عيســى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجــدون موضع شــبر إلَّا ملأه نَتْنُهــم، فيرغب عيســى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيُرســل عليهم طيرًا كأعناق البُخت[٤]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تبارك وتعالى.

---

(١) النُّشَاب: السهام.

(٢) النَّغَف: دود تكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) فَرْسَى: قَتْلَى، مفردها: فَرِيس.

(٤) البُخْت: جِمال طوال الأعناق.

الروم

هي أمة مختلَطة من اليونان والصقالبة ومن الرومانيين الذين أصلهم من اللاطينيين سكان بلاد إيطاليا، نزحوا إلى أطراف شرق أوروبا، فقامت هذه الأمة المسماة بالروم على هذا المزيج، فجاءت منها مملكة تحتل قطعة من أوروبا وقطعة من آسيا الصغرى، وهي بلاد الأناضول، وقد أطلق العرب على مجموع هذه الأمة اسم الروم؛ تفرقةً بينهم وبين الرومان اللاتينيين، وسَمَّوُا الروم أيضًا ببني الأصفر، وسبب اتصال الأمة الرومانية بالأمة اليونانية وتكوُّن أمة الروم من الخليطين هو أن اليونان كان لهم استيلاء على صقلية وبعض بلاد إيطاليا، وكانوا في حروب وسِجَال مع الرومان، واتَّسعت مملكة الرومان تدريجيًا بسبب تلك الحروب إلى أن بلغت سلطتهم إلى شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى، ووصلت إلى أرمينيا والعراق، وبذلك دخلت اليونان تحت سلطان الرومان، ومن أشهر المدن التي استولى عليها الرومان مدينة (بيزنطة)، وكان سكانها أهل تجارة عظيمة.

وفي سنة ٣٣٢ قبل ميلاد المسيح عليه السلام أُعجِب الإمبراطور

قسطنطين بموقع بيزنطة، وبنى فيها مدينة كبيرة، سمَّاها باسمه (القسطنطينية)، وجعلها عاصمة لدولته، وبعد وفاته انقسمت البلاد الرومية إلى قسمين: مملكة الروم في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وعاصمتها القسطنطينية، ومملكة الرومان في القسم الغربي من الإمبراطورية، وعاصمتها روما، ويُعرَف الروم عند الإفرنج بالبيزنطيين نسبةً إلى بيزنطة.

الصابئون

هي أمة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع: صابئون حنفاء، وصابئون مشركون، وكانت حَرَّان دار مملكة هؤلاء قبل المسيح عليه السلام، ولهم كتب وتآليف وعلوم، وكان في بغداد منهم طائفة كبيرة، فمنهم إبراهيم بن هلال الصابئ صاحب الرسائل، وكان على دينهم، ويصوم رمضان مع المسلمين، وأكثرهم فلاسفة، ولهم مقالات مشهورة ذكرها أصحاب المقالات.

وجملةِ أمرهم أنهم لا يُكذِّبون الأنبياء، ولا يُوجِبون اتباعَهم، وعندهم أنَ مَن اتبع الأنبياء فهو سعيد ناجٍ، وأن من أدرك بعقله ما دَعَوْا إليه، فوافقهم فيه وعمل بوصاياهم، فهو سعيد، وإن لم يتقيَّد بهم، فعندهم دعوة الأنبياء حق، ولا تتعيَّن طريقًا للنجاة، وهم يُقِرُّون أن للعالم خالقًا مُدَبِّرًا حكيمًا مُنَزَّهًا عن مماثلة المخلوقات، ولكن كثيرًا منهم، أو أكثرهم، قالوا: نحن عاجزون عن الوصول إلى جلاله بدون الوسائط؛ والواجب التقرُّب إليه بتوسُّط الروحانيين المقدَّسين المُطَهَّرين عن المواد الجسمانية، المُبَرَّئِين عن القوى

الجسـديـة، المُنَزَّهين عن الحـركات المكانيـة والتغييرات الزمانية، بل قد جُبِلوا على الطهارة، وفُطِروا على التقديس.

فالصابئون فيهم المؤمن بالله وأسـمائه وصفاته وملائكته ورسـله واليوم الآخر، وفيهم الكافر، وفيهـم الآخذ من دين الرسـل بما وافَق عقولهم واستحْسَـنُوه، فدانُوا بـه ورَضُوه لأنفسـهم، وعَقْد أمرهم أنهم يأخذون بمحاسـن ما عند أهل الشـرائع بزعمهم، ولا يوالون أهل مِلَّةٍ ويعادون أخرى، ولا يتعصَّبون لملة على ملـة، والملل عندهـم نواميس لمصالح العالم، فلا معنى لمحاربة بعضها بعضًا، بل يؤخذ بمحاسنها وما تَكْمُل بـه النفوس، وتتهذَّب به الأخلاق، ولذلك سُـمُّوا صابئين؛ كأنهـم صبؤوا[1] عـن التعبُّد بكل ملـة من الملل، والانتساب إليها، ولهذا قال غير واحد من السلف: ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا مجوسًا.

ولم يَبْقَ من الصابئين اليوم إلّا أتبـاع الصابئة المندائية، وهي التـي تعتبر يحيـى عليه السلام نبيًا لهـا، ويُقـدِّس أصحابها الكواكب والنجـوم ويُعَظِّمونها، ويتَّجِهـون نحو نجم القطب الشمالي.

ومن طقوسـهم التعميد في المياه الجارية، والمندي هو

---

(١) أي: خرجوا.

معبدهم، وفيه كتبهم المقدسة كالكنزاربًا، ويجري فيه تعميد رجال الدين، ويقام على الضفاف اليمنى من الأنهار الجارية، وله باب واحد يقابل الجنوب، بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا بدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قِبَل النساء.

وصلاتهم تؤدَّى ثلاث مرات في اليوم: قُبَيْل الشروق، وعند الزوال، وقُبَيْل الغروب، فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود، يتوجَّه المصلِّي خلالها إلى الجَدْي بلباسه الطاهر، حافي القدمين، يتلو سبع قراءات يُمَجِّد فيها الرب مُسْتَمِدًّا منه العون، طالبًا منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.



المجوس



هم أهل دين وثني يُثْبِت إلٰهَيْن: إلٰهًا للخير، وإلٰهًا للشر، وهم أهل فارِس، ثم هي تتشعَّب شُعَبًا ترجع في نهايتها إلى هذَيْن الأصلَين، وأقدم النِّحَل المجوسية أَسَّسها «كيومرث» الذي هو أول ملك بفارس في أزمنة قديمة يُظَنُّ أنها قبل زمن إبراهيم عليه السلام، ولذلك يُلَقَّب أيضًا بلقب «جل شاه»، أي: ملك الأرض، وكان عصرُ «كيومرث» يُلَقَّب «زروان»، أي: الأزل، فكان أصل المجوسية هم أهل الديانة المسماة: الزروانية، وهي تُثْبِت إلٰهَين هما (يَزدَان) و(أَهْرُمُن)، قالوا: كان يَزدان منفردًا بالوجود الأزلي، وأنه كان نُورانيًّا، وأنه بقي كذلك تسعة آلاف وتسعين سنة، ثم حدث له خاطر في نفسه: أنه لو حَدَث له مُنازِع كيف يكون الأمر، فنشأ من هذا الخاطر موجود جديد ظُلماني سُمِّيَ (أَهْرُمُن)، وهو إلٰه الظلمة، مطبوع على الشر والضر، فحدث بين (أَهْرُمُن) وبين (يزدان) خلاف ومحاربة إلى الأبد.

ثم نشأت على هذا الدين نِحَل خُصَّتْ بألقاب، وهي متقاربة التعاليم أشهرها نحلة (زَرَادُشْت) الذي ظهر في القرن

السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وبه اشتهرت المجوسية، وقد سُمِّيَ إلٰه الخير (أهُورَا مَزْدَا) أو (أرمزد) أو (هرمز)، وسُمِّي إلٰه الشر (أهْرُمن)، وجُعِل إلٰه الخير نورًا، وإلٰه الشر ظلمة، ثم دعا الناس إلى عبادة النار على أنها مظهر إلٰه الخير وهو النور، وأمر أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي رمز للنظام والعدل في معتقدهم، وقد يُمَثِّلونها بنار دنيوية، أو بالشمس أو بالقمر، ووسع شريعة المجوسية، ووضع لها كتابًا سماه «زَندافستا».

ومن أصول شريعته تجنُّب عبادة التماثيل، ثم ظهرت في المجوس نِحلة «المَانوية»، وهي المنسوبة إلى (مَاني) الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير ملك الفرس بين سنة ٢٣٨، وسنة ٢٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام، وظهرت في المجوس نِحلة «المزدكية»، وهي منسوبة إلى (مَزدك) الذي ظهر في زمن قُبَاذ بين سنة ٤٨٧ وسنة ٥٢٣ من ميلاد المسيح عليه السلام، وهي نِحلة قريبة من (المانوية)، وهي آخر نِحلة ظهرت في تطوُّر المجوسية قبل الفتح الإسلامي لبلاد فارس.

وللمجوسية شبه في الأصل بالإشراك، إلَّا أنها تُخالِفه بمنع عبادة الأحجار، وبأن لها شبهة كتاب عن بعض العلماء، فأشبهوا بذلك أهل الكتاب، ولذلك قال النبي ﷺ فيهم: «سُنُّوا

بهم سُنَّةَ أهل الكتاب»[١]، أي: في الاكتفاء بأخْذ الجزية منهم دون الإكراه على الإسلام.

وحاصِلُ القول أن المجوسية ديانة شــركية وثنية لا يُعْلَم لها أصلٌ من كتاب سابق.

(١) أخرجه مالك (٦١٦)، والبيهقي (١٩١٢٥).

اليهـود

هم أتباع ديانـة العبرانيين المنحدِرين مـن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤيَّدًا بالتوراة؛ ليكون لهم نبيًّا، وسُمُّوا يهودًا نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، الـذي ينتمي إليه بنو إسـرائيل الذين بُعِث فيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلبت العرب الذال دالًا، أو نسبةً إلى الهَوَد: وهو التوبة، والرجوع.

واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه بدورها قد اختُلِف في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبنـاء يعقوب، وعُمِّمَتْ على الشـعب على سـبيل التغليب، واليهودية ديانة باطلـة مُحرَّفة عن الدين الحـق الذي جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فموسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بالإسـلام ـ بمفهومه العام ـ الذي يعني الاستسـلام لله وحده؛ فهو دين جميع الأنبياء من لَدُن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأهم عبادات اليهود عبادة الصـلاة: وهي مركبة من النثر ثم النظم، وتُتلى بالغناء بالابتداء، وعبادة الصوم تبدأ من قبل

غروب الشــمس إلى غروبها من اليوم اللاحق، ويمتنعون فيه عن الطعام والشــراب والجماع، ولهم أيام متفرِّقة يصومونها؛ كصوم يوم الغفران، وتموز، والتاسع من آب، ولليهود مواسم وأعياد: كيوم السبت، وعيد الفصح، ويوم التكفير والغفران.

وقد وصف الله تعالــى اليهود في كتابــه بأوصاف، منها: الكِبْر، والحسد، والظُّلم، والفســاد، وكتمان الحق، وتحريف الكَلِم عن مواضعه، والخيانة، واحتقار الآخرين، وإثارة الفتن، والجَشَــع، وقســاوة القلب، وأكل الربا، وإشــاعة الفاحشة، وغيرها من الأوصاف القبيحة والأخلاق الذميمة.

النصارى

هم أتباع الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه السلام، ومُتَمِّمة لِمَا جاء في التوراة من تعاليم، مُوجَّهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعَد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرًا عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، ويقال لهم: (النصارى)؛ لتناصُرهم فيما بينهم، وهذا يخصُّ المؤمنين منهم في أول الأمر.

والديانة النصرانية في أصلها دين مُنَزَّل من الله، لكنها غُيِّرت وبُدِّلت وحُرِّفت نصوصها، وتعدَّدت أناجيلها، وتَحوَّل أتباعها عن التوحيد إلى الشرك والتثليث، ثم نُسِخَت بدين الإسلام، فأصبحت باطلة؛ لتحريفها، ولنسخها كاليهودية تمامًا.

ومن أهم عقائد النصارى القول بالتثليث «الأب، والابن، والروح القدس إلٰهٌ واحدٌ»، والصَّلْب؛ فيعتقدون أن

المسيح عليه السلام مات مصلوبًا، والفداء؛ فيعتقدون أن موت المسيح عليه السلام كان كفَّارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثة.

والنصارى يُقدِّسون الرهبان ورجال الكنيسة، ويتخذونهم أربابًا من دون الله في التحليل والتحريم، ومغفرة الذنوب.

ومن شعائرهم: الصلاة، وهي سبع في اليوم والليلة بدعاء يختارونه في الغالب، والصوم: بالامتناع عن الطعام إلى ما بعد منتصف النهار، والتعميد: وهو مفتاح الدخول في النصرانية، بِرَشِّ الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ولا يكون إلَّا في الكنيسة، وعلى يد كاهن، والعَشَاء الرباني: وهو قِطَع من الخبز مع كأس من الخمر، يتناوله النصارى في الكنيسة تذكارًا لصلبِ المسيح عندهم، وحمل الصليب وتقديسه، ويزعمون أن ذلك يُشْعِرهم بإنكار النفس، واقتفاء أثر المسيح، وتقديس يوم الأحد، والرهبانية التي لا تتحقَّق إلَّا بالعزوبة، والتجرُّد الكامل من الدنيا، والعبادة المتواصلة، والتعذيب الجنوني للنفس، وغيرها من الطقوس والعبادات الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أعلام

متفرقة



الكوثر



هو نهرٌ عظيمٌ في الجنة، عليه خيـــر كثير، أعطاه الله لنبيه محمد ﷺ، وسَمَّى الله تعالى إحدى سور القرآن العظيم باسم هذا النهر؛ لفضله وعظمتـــه، حيث يصُبُّ منـــه ميزابانِ على حوض رسول الله ﷺ المورود، وماء هذا النهر أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى مذاقًا من العســـل، وأطيب رائحةً من المسك، وحَصْباؤه[1] اللؤلؤ، وحافتاه من ذهب وقباب اللؤلؤ، ومجراه على الـــدُّرِّ والياقـــوت[2]، وفيه طيـــر أعناقها كأعنـــاق الجُزُر (الإبل)، وإنما سُمِّي كوثرًا؛ لأنه أكثر أنهار الجنة ماءً وخيرًا، ولأن أنهار الجنة تتفجَّر منه.

---

(١) الحَصْباء: الحصى الصِّغار.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (٤٠٠).



تسنيم



هو عينُ ماء في أعلى الجنة، رفيعة القَدْر، تتنزَّل من عُلْوٍ، يشرب منها المقرَّبون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها مخلوطةً بغيرها، وهي من أشــرف شــراب أهل الجنة، والتسنيم في الأصل: العُلُوُّ والارتفاع.



النَّحْل



هو ذُباب له جســـمٌ بقَدْرِ ضِعْفَي جسم الذُّباب المعروف، وأربعة أجنحة، ولون بطنه أســـمر إلى الحمرة، وفي خرطومه شوكة دقيقة كالشـــوكة التي في ثمرة التين البربري (المسمى بالهنـــدي) مختفية تحت خرطومه، يلســـع بهـــا ما يخافه من الحيوان، فتَسُمُّ الموضع سُـــمًّا غير قوي، وهو ثلاثة أصناف: ذكر، وأنثى، وخنثى، فالذكور هي التي تحرس بيوتها، ولذلك تكون محوِّمة بالطيران والدَّوي أمام البيت، وهي تُلَقِّح الإناث لقاحًا به تَلِد الإناث إناثًا، وهي أضخم حجمًا من الذكور، ولا تكون التي تَلِد في البيوت إلَّا أنثى واحدة، وهي قد تَلِد بدون لقاح ذَكرٍ؛ ولكنَّها في هذه الحالة لا تَلِد إلَّا ذكورًا، فليس في أفراخها فائدة لإنتـــاج الوالـــدات، والخنثى فهي التـــي تُفْرِز العسل، وهي العواســـل، وهي أصغر حجمًا من الذكور، وهي معظم سكان بيت النَّحل.

والنحل تبني بيوتًـــا في الجبال والشـــجر والعُرُش بنظامٍ دقيق، ثم تُقَسِّـــم أجزاءَها أقســـامًا متساوية بأشـــكال مسدَّسة الأضلاع بحيث لا يتخلَّل بينها فراغ تنساب منه الحشرات، ثم

تُغَشِّي على سطوح المسدَّسات بمادة الشمع، وهو مادة دهنية متميِّعة أقربُ إلى الجمود، تتكــوَّن في كيس دقيق جدًّا تحت حلقة بطن النحلــة العاملة، فترفعه النحلــة بأرجلها إلى فمها وتمضغه، وتضع بعضه ملتصقًا ببعض لبناء المسدَّس المسمى بالشُّهْد؛ لتمنع تسرُّب العسل منها.

فسخَّر الله النحل لما خلقها له، وألهمها رُشْدَها، وقدَّر في نفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجِز عنها العقلاء من البشر، وذلك أن النحل تبني بيوتًا على شــكل مســدَّس من أضلاع متســاوية لا يزيد بعضها على بعض لئلا يحصل فيه خلل ولا فُرجة خالية، وألهمها أيضًا أن يجعلــوا عليهم أميرًا كبيرًا نافذ الحكم فيهم، وهم يطيعونه ويمتثلون أمره، ويكون هذا الأمير أكبرَهم جُثةً وأعظمهم خِلْقَةً، ويســمى يعســوب النحل، أي: مَلِكُهم، وألهمها أيضًــا أن جعلت على بــاب كل خلية بوابًا لا يُمَكِّن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أيضًا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تَضِلُّ عنها.



شجرة الزقوم



هي الشــجرة الملعونة فــي القرآن، وهي فــي غاية النتن والمرارة، وهي طعام أهل النار، جعلها الله فتنة للظالمين، فإذا كُلِّفوا تناوُلَها في النار وشَقَّ عليهم ذلك فحينئذٍ صارت فتنةً في حقهم، وهي فتنة لهم أيضًــا لَمَّا قالوا: كيف يكــون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر، ومحمد يُخوِّفنا بالزقوم وهو الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جاريةُ، زَقِّمِينا، فأتتهم بالزبد والتمر، فقال أبو جهــل: تَزَقَّموا، فهــذا ما يوعدكم به محمد، استهزاءً برسول الله ﷺ وسخرية منه، فجعلها الله طعامًا لأثيمهم الأكبر أبي جهل وأضرابه من ذوي الآثام الكبيرة.

وهذه الشــجرة الملعونة تنبت في قعر جهنم، فقد غُذيت من النار، ومنها خُلِقت، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها، وثمرها كأنه رؤوس الشياطين؛ لنهاية قُبْحه وبشاعة صورته، فأهل النار إذا جوَّعهم الله الجوعَ الشديد فَزِعوا في إزالة ذلك الجوع إلى تناوُل ثمر هذه الشــجرة وإن كانت بتلك الصفــة المذكورة، فســيأكلون منها ويملؤون مــن زَقُّومِها بطونهــم، وتغلي في بطونهم كما يغلي الماء الحارُّ.

وقد قال فيها رســـول الله ﷺ: «اتَّقُوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقّوم قَطَـرَت في بحار الدنيا لأفســدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥).

وَدٌّ، سُوَاع، يَغُوث، يَعُوق، نَسْر

هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسَمُّوها بأسمائهم؛ فإن ذلك أشوق إلى العبادة، فلم تُعْبَد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم، جاء آخرون فأوحى إليهم الشيطان فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسْقَوْن المطر، فعبدوهم، وكانوا أوَّلَ مَن أشرك بالله في الأرض، فلما جاء الطوفان اندثرت هذه الأوثان.

وفي الجاهلية كان هنالك رجل من العرب يقال له: عمرو بن لُحَيٍّ الخزاعي، وكان كاهنًا، وله رَئِي[1] من الجنِّ فسمع قائلًا يقول:

ائت ضَفَّ جدة
تجد فيها أصنامًا مُعَدَّة
فأَوْرِدْها تهامة ولا تَهَبْ
ثم ادْعُ العرب إلى عبادتها تُجَبْ

(١) أي: له قرين من الجنِّ يتراءى له ويخبره بأمور.

فأتى نهر جدة فاســتثارها، ثم حملها حتــى ورد تهامة، وحضر الحــجَّ، فدعا العــربَ إلــى عبادتها قاطبــة، فأجابه عوف بن عذرة، فدفع إليه وَدًّا، فحمله، فــكان بوادي القرى بدومة الجندل، وسَــمَّى ابنه عَبْدَ وَدٍّ، فهو أول مَن سَــمَّى به، وأجابت عمرو بــن لحي مضرُ بن نزار، فدفــع إلى رجلٍ من هذيل يقال له: الحارث بن تميم «ســواعًا»، فكان بأرض يقال لها: وهاط، من بطن نخلة، يعبده مَن يليه من مضر.

وأجابتــه مَذْحِــج، فدفع إلــى أنعم بن عمــرو المرادي «يغوث»، وكان بأَكَمة[1] باليمن تعبده مَذْحِج ومَن والاها.

وأجابته همدان، فدفع إلى مالك بن مرثد «يعوق»، فكان بقرية يقال لها: خيوان، تعبده همدان ومَن والاها من اليمن.

وأجابته حِمْيَر: فدفع إلى رجل من ذي رُعَيْن يقال له: معد يكرب «نَسْرا»، فكان بموضع من أرض سبأ، يقال له: بلخع، تعبده حِمْيَر ومَن والاها.

فلم تَزَل هذه الأصنام تُعْبَد حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فهدمها وكســرها، ورأى رســول الله ﷺ عمرو بن لحي يجر قُصْبَهُ في النار جزاءً لما سَنَّهُ من عبادة الأوثان[2].

---

(١) هي مكان مرتفع كالهضبة أو الجبل الصغير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٢٢)، ومسلم (٢٨٥٦).



بَعْل



هو اسم صنمٍ كان لقوم نبي الله إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكنعانيين، وهو أعظم أصنامهم، وبه سُمِّيَت مدينة بعلبك التي كان فيها، وكان طوله عشـــرين ذراعًا، وقد مَثَّلُوه بصورة إنسان له رأس عِجْلٍ وله قرنان، وعليه إكليل، وهو جالس على كرســـي مادًّا يَدَيْه كمن يتناول شـــيئًا، وكانت صورته من نحاس، وداخلها مُجَوَّف، وقد وضعوها على قاعدة مـــن بناء كالتنُّور[1]، فكانوا يُوقِدون النـــار في ذلك التنور حتى يحمـــى النحاس، ويأتون بالقرابين فيضعونها على ذراعيه فتحترق بالحرارة، فيحسبون لجهلهم أن الصنم تقبَّلها وأَكَلَها من يدَيـــه، وكانوا يُقَرِّبون له أطفالًا من أطفـــال ملوكهم وعظمـــاء مِلَّتِهم، وقـــد عبده بنو إســـرائيل غيرَ مرة تَبَعًا للكنعانيين، والعمونيين، والمؤوبِيِّين، وكان لبَعلٍ من السَّدَنَة أربعُمائة وخمسون سادنًا.

---

(١) هو كانون أو فُرْن كالذي يُخْبَز فيه.

اللَّات

هي صنمٌ لثقيف من صخرة بيضاء منقوشــة وعليها بيت بالطائف، ولها أستار وسَــدَنة، وكان سَــدَنَتُها وحُجَّابها بني معتب، وحولها فناء مُعَظَّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومَن تابَعها، وكانــوا يفتخرون باللات على مَــن عداهم من أحياء العرب بعد قريش، وكانوا قد اشــتقوا اســمها من اســم الله، فقالوا: اللات، يعنــون مؤنَّثة منه، تعالى الله عــن قولهم عُلوًّا كبيرًا.

وقيل: إنــه كان رجلًا يعجن العجيــن للحُجَّاج ويُطعِمهم إكرامًا لهم، فلما مات عَظَّمُوه وعكفــوا على قبره، ثم جعلوه إلٰهًا، وكان اسمه (صرمة بن غنم).

فلما أسلمت ثقيف في السنة التاســعة من الهجرة أرسل رســول الله ﷺ خالد بن الوليــد والمغيرة بن شــعبة وبعض أصحابه إلى الطائف لهدم اللات، فلما عمدوا إليها ليهدموها اجتمعت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان ينظرون إليهم، ولا يَرَوْنَ أنها ستُهْدَم، ويظنون أنها ستمنعهم، فأخذ المغيرة بن

شـــعبة رضي الله عنه الفأس، وقـــال لأصحابـــه: والله لأُضْحِكَنَّكُم من ثقيف، فضرب بالفأس، ثم سقط يركض، فارتجَّ أهل الطائف بصيحة واحدة، وقالوا: أَبْعَدَ الله المغيرة، قد قتلته الرَّبَّةُ ـ أي: اللات ـ، وفرحوا حين رأوه ســاقطًا، وقالوا: مَن شـــاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها، فوالله لا تُســـتطاع أبدًا، فوثب المغيـــرة، وقال: قَبَّحَكُم الله يا معشـــر ثقيف، إنمـــا هي لُكاع حجارة ومَدَر[1]، فاقبلوا عافيةَ الله واعبـــدوه. ثم ضرب الباب فكســـره، ثم علا على سُـــورِها وعلا الرجال معـــه، فما زالوا يهدمونها حجرًا حجرًا حتى سَوَّوْها بالأرض، وجعل صاحبُ المفاتيح يقول: ليَغْضَبَنَّ الأســـاسُ فليُخْسَفَنَّ بهم، فلما سمع ذلك المغيرة قـــال لخالد: دعني أَحْفِر أساســـها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حُلِيَّها، وأخذوا ثيابها، فبُهِتَت ثقيف، ورجع أصحـــاب رســـول الله ﷺ حتى قَدِمُـــوا عليـــه بحُلِيِّها وكسوتها، فقسمه رسول الله ﷺ من يومه.

---

(١) المَدَر: الطين.

العُزَّى

هو بيتٌ له أستار بنخلةٍ بين مكة والطائف يعبده أهل الجاهلية، ويُعَظِّمُونه كما يُعَظِّمون الكعبة، وهو على ثلاث شجرات مقدَّسة عندهم، فيها شيطانة، فيعبدون البيت ويطوفون به، وتُكَلِّمهم هذه الشيطانة من داخله، فتزيدهم غَيًّا إلى غَيِّهم، وضلالًا إلى ضلالهم.

وقد اشتقوا اسمها من اسم الله العزيز - تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا - وكانت قريش تُعَظِّم العُزَّى وتعبدها، كما قال أبو سفيان يوم أُحُد: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم**»(١)، وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابها من بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العُزَّى، فلما سمع حاجبها السُّلَمِيُّ بمسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إليها علَّق سيفه عليها، ثم اشتدَّ في الجبل الذي هي فيه، وهو يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

أيا عُزَّ شُـدِّي شـدةً لا شوى لها
على خالد أَلْقِي القناع وشَـمِّري
أيا عُزَّ إن لم تقتلـي المرءَ خالدًا
فبُوئِي بإثـمٍ عاجـلٍ أو تَنصَّري

فأتاها خالـد رضي الله عنه وكانت علـى ثلاث سَـمُرات، فقطع السَّـمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثـم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالد رضي الله عنه، فإذا امرأة عريانة ناشـرة شـعرها تحفن التراب على رأسـها، فضربها بالسيف حتى قتلها، وجعل يقول:

يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك — إنـي رأيت الله قـد أهانك

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**تلك العُزَّى**»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٨٨)، والأزرقي في أخبار مكة ١/ ١٢٧.

مَنَاة

هي صنمٌ من صخرة عبدها جمهور العرب، وكان موضعها في المشلل حذوَ قُدَيْد بين مكة والمدينة، وكان سدنةُ مناة الغطاريف[١] من الأزد، وكانت مُعَظَّمة عند الأوس والخزرج يطوفون حولها في الحج عِوَضًا عن الصفا والمروة، ويُلَبُّون قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لولا أن بَكْرًا دونك، يَبَرُّك الناس ويهجرونك، وما زال حج عثج يأتونك، إنَّا على عدوائهم من دونك»، ولا يذبحون ويحلقون إلَّا عندها.

فلما حجَّ المسلمون وسعَوا بين الصفا والمروة تحرَّج الأنصار من السعي؛ لأنهم كانوا يسعون بين الصفا والمروة، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث سعدًا الأشهلي لهدم مناة، فخرج في عشرين فارسًا حتى انتهى إليها، وعليها سادِن، فقال السادن: ما تريد؟ قال سعد: هَدْمَ مناة. فقال السادن: أنت

---

(١) الغطاريف: السادة، ومفردها: غِطريف.

وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرُج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال السادن: «مناة دونك بعض غضباتك»، ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها، ويُقْبِل إلى الصنم معه أصحابه فهدموه، ولم يجد في خزانتها شيئًا، وانصرف راجعًا إلى رسول الله ﷺ.

المراجع

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
- معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي.
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق ابن عطية الأندلسي.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان الحسيني القنوجي.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي.
- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد العمادي الحنفي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

ـ روح المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسـبع المثاني: محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي.

ـ تفسير القرآن العزيز: محمد بن عبد الله بن أبي زمنين.

ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسـير كلام المنان: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي.

ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري.

ـ البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.

ـ تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري.

ـ قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس.

ـ تيسير المنان في قصص القرآن: أحمد فريد.

ـ المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة: عبد الكريم زيدان.

ـ القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: صلاح الخالدي.

ـ مع قصص السابقين في القرآن: صلاح الخالدي.

ـ مواقف الأنبياء في القرآن: صلاح الخالدي.

ـ الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان: صلاح الخالدي.

ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي.

ـ معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي.

ـ ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح: محمد خير رمضان يوسف.

ـ ويسألونك عن ذي القرنين: مولانا أبو الكلام أزاد.

ـ الرأي الصحيح في من هو الذبيح: عبد الحميد الفراهي.

ـ فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: حمدي بن حمزة أبو زيد.
ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.
ـ أشراط الساعة: يوسف بن عبد الله الوابل.
ـ التيجان في ملوك حمير: عبد الملك بن هشام الحميري.
ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف.
ـ مقدمات في الأديان: محمد بن إبراهيم الحمد.
ـ الملل والنِّحَل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي.
ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: مانع بن حماد الجهني.
ـ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم.
ـ أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ أطلس الأماكن في القرآن الكريم: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ أطلس القرآن: شوقي أبو خليل.
ـ الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين السيوطي.
ـ فضائل مصر المحروسة: محمد بن يوسف الكندي المصري.
ـ المدينة المنورة النبويَّة فضلها، فضل ساكنيها، زيارتها: أبو بكر جابر الجزائري.
ـ الفصول في سيرة الرسول: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير.
ـ غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

- تاج العروس: المرتضى الزبيدي.
- لسان العرب: ابن منظور الأفريقي.
- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي.
- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي
- مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.
- السيرة النبويَّة: عبد الملك بن هشام المعافري.
- مسند أبي يعلى: أبو يعلى التميمي، الموصلي.
- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي.
- السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي: لابن التركماني.
- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي.
- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.
- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي.
- الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري.
- المسند الصحيح المختصر: مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني.
- مُصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: أبو الوليد محمد بن عقبة بن الأزرق المعروف بالأزرقي.

فهرس المحتويات

